

# مجلة بيئات العدد

مجلة تصدر كل شهرين مؤقتاً عن :



عدد ذي الحجة ١٤٤٤ هـ :: يونيو ٢٠٢٣ م

ملف العدد

جرح السودان النازف



الموقف العلمي الواسطي  
من أخبار الفتن

أثر التقارب السعودي الإيراني  
على الواقع اليمني

## الحج الأكبر..

بين دعاوى التدويل ونوايا التعطيل



انتخابات تركيا  
أولويات وتحديات

غزوة بدر الكبرى

واستراتيجيات الخروج من الاستضعاف



رَابطة علماء المُسْلِمِينَ

العدد  
١٠

ذو الحجة ١٤٤٣ هـ :: يونيو ٢٠٢٣ م

# بَيِّنَات

مجلة

تصدر كل شهرين عن  
رابطة علماء المسلمين

رئيس التحرير:

د. عبدالعزيز كامل

مدير التحرير:

د. عادل الشخاني

الهيئة الاستشارية:

د. محمد يسري

د. عادل الحمد

د. محمد عبدالكريم

د. هشام برغش

د. حسن سلمان

التصميم والإخراج الفني:

رونق للخدمات الإعلامية

### الافتتاحية:

- الحج الأكبر بين دعاوى التدويل ونوايا التعطيل ..... **التحرير** ٢

### بصائر من خطاب الوحي:

- أقسام أعمال العباد بين الصحة والفساد ..... **أ.د. حكمت الحريري** ٥
- ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم ..... **د. محمد عبدالكريم** ٨

### قضايا منهجية:

- الموقف العلمي الواسطي من أخبار الفتن ..... **الشيخ عبدالله الأهدل** ١٠

### نوازل معاصرة :

- الانتخابات التركية.. وجدل الديموقراطية ..... **د. أبو العز صالح آل داوود** ١٤
- العجز عن تحكيم الشريعة والطريق إلى تجاوزه ..... **د. قاسم بن علي قعبان** ١٧

### مدارس علمية:

- خلاصة جهود العلماء في حفظ وتدوين السنة النبوية ..... **الشيخ مصطفى البدي** ٢١

### سير أعلام النبلاء المعاصرين:

- الشيخ نجيب المطيعي وصفحات مجهولة من حياته ..... **الشيخ عبدالآخر حماد** ٢٤

### تربويات دعوية:

- ظاهرة إسقاط القدوات ..... **د. الحسن بن علي الكتاني** ٢٨
- منهج أهل السنة والجماعة في السلوك وتزكية النفس ..... **د. عادل الشبخاني** ٣١
- التخصص الدعوي .. هل هو ضرورة ..... **د. خالد بن فتحي الآغا** ٣٥

### كاتب وكتاب:

- كتاب إتحاف القاري باختصار فتح الباري ..... **الشيخ د. صفاء الضوي** ٣٩

### عالمنا الإسلامي:

- بلاد المسلمين والانقسام الذي يسبق التقسيم ..... **د. عبدالعزيز كامل** ٤٤
- الصراع في السودان واحتمالاته المستقبلية ..... **د. عصام عبدالشافي** ٥٠
- أمريكا وإدارة الصراع في السودان ..... **أحمد مولانا** ٥٣
- حوار مع فضيلة الشيخ مختار البدي حول الشأن السوداني ..... **التحرير** ٥٦
- انتخابات تركيا.. أولويات وتحديات ..... **د. محمد يسري إبراهيم** ٥٩
- الشيعة العرب ودورهم في المشروع الإيراني ..... **م. حسن الرشيد** ٦٣
- أثر التقارب السعودي الإيراني على الواقع اليمني ..... **أنور الخضري** ٦٩

### تأملات في السيرة والتاريخ:

- غزوة بدر الكبرى .. واستراتيجيات الخروج من الاستضعاف ..... **د. محمد العبد** ٧٤

### آخر ورقة:

- أهمية الدعوة النسائية في أزمنة الفتن ..... **د. عبدالرحمن الكاتب** ٨٠



# الحج الأكبر..

## بين دعاوى التدويل ونوايا التعطيل

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد: فإن الإسلام عندما منح جزيرة العرب خصوصيةً دينيةً؛ جعل العلة في ذلك ضرورة تطهيرها من الشرك والوثنية، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أَخْرَجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»<sup>(١)</sup>، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَبْقَيْنَ دِينَانَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ»<sup>(٢)</sup>، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّى لَا أَدْعَ إِلَّا مُسْلِمًا»<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن مكة المكرمة هي أقدس ما في جزيرة العرب، وأقدس ما في مكة؛ الكعبة المشرفة، التي جعلها الله قبلة للمسلمين وموئلاً للعابدين منذ أن أمر إبراهيم -عليه السلام- برفع قواعدها، فعندما كلّفه الله -تعالى- بأن يؤذن في الناس بالحج؛ أمره مع ذلك بأن يطهره خالصاً للتوحيد وللموحدين، كما قال -سبحانه-: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

(١) صحيح أبي داوود (٣٠٢٩)

(٢) صحيح مسلم (١٧٦٧)

(٣) صحيح البخاري (٢٦)

وقد عظمت الشريعة من أمر الحج؛ حيث تُقام به شعائر الله التي قال الله عنها: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ حَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

ولذلك تُضاعف الأجور، وترفع الدرجات بالقيام بتلك الفريضة على وجه الإتمام والإخلاص، كما قال الله تعالى: ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ»<sup>(١)</sup>.

وقال - عليه الصلاة والسلام - : «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتِ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»<sup>(٢)</sup>، وقال : «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»<sup>(٣)</sup>.

وحضَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على متابعة الحج والعمرة لمن قدر عليهما، فقال: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبْثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»<sup>(٤)</sup>. وكما حضت الشريعة على تطهير حرم مكة حساً ومعنى؛ فقد جاء التكليف فيها بتنزيه المدينة عن شيوع مظاهر البدع والمحدثات؛ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ»<sup>(٥)</sup>.

وبالرغم من تعظيم الدين لأمر مكة والمدينة، والأمر بتطهيرهما؛ فإن هناك دعاوى تتردد بين الحين والآخر؛ تعرضهما لتسرب وتسلسل أهل الأهواء بمنكراتهم البدعية الاعتقادية، من خلال إجراء تغييرات جذرية في طريقة إدارة المسجدين الشريفين؛

بحيث يخضعان لما عُرف إعلامياً بـ (تدويل الحرمين)، وخاصةً في موسم الحج، والمقصود بالتدويل أن تتناوب دُول وحكومات العالم الإسلامي الإشراف على إدارة شؤون المسجدين في مواسم الطاعات، وهي دعوة قد يبدو في ظاهرها الرحمة والحكمة، ولكنها تحمل في باطنها العذاب والخراب؛ وذلك لأن أحوال الحكومات اليوم - كما هو معلوم - تتقلب بين علمانية مجافية للدين أو مناوئة له، وبين صوفية تخريفية بدعية في شرائع الدين، أو شيعة باطنية مُغَيِّرة في أصول الدين، ولا يعني هذا تزكية مطلقة لما هو قائم اليوم في بلاد الحرمين من كل الوجوه، ولكن لاشك أن تمكين مذهب أهل السنة والجماعة في عقود خلت على يد علماء الدعوة النجدية؛ رسخ عقائد السنة، وقمع مذاهب المبتدعة، قبل أن تهب عواصف التغيير.

ودعاوى تدويل الحرمين تتعدّد وتتجدّد، كلما اشتعلت خلافات سياسية؛ أو استجدت أحداث أمنية، أو وقعت خسائر بشرية؛ فتستغل أطراف مُغْرِضَةٌ هذا أو ذاك لترفع عقيرتها بتلك الدعاوى، نكايَةً في الظاهر بالقائمين على أمر الحرمين، وفي الباطن كيداً للسنة وأهلها؛ حيث لا يُسَمَحُ هناك منذ عقود طويلة لأي بدعة غليظة بالظهور، ولا لأي مبتدعة ظاهرين بالتمكين.

والدعوة لتدويل إدارة الحرمين، وخاصةً في موسم الحج؛ ليست جديدة، ففي أواخر الدولة العثمانية كان حُكَّام إيران يطالبون بجعل مكة المكرمة والمدينة المنورة خارج الإدارة العثمانية، وبعد سقوط الخلافة، وقيام الدولة السعودية؛ طالب الأتاتوركيون بنزع ولاية السعوديين عن الحرمين.

وفي العقود والسنوات الأخيرة دخلت أطراف جديدة في المناداة بهذه الدعوة، ودخل كثير من العلمانيين على خطها؛ لا حرصاً على الدين، ولكن لشدة البُغْض لصحيح الدين و غاية الحقد على مظاهر اجتماع المسلمين.

(٤) متفق عليه.  
(٥) متفق عليه.

(١) متفق عليه.  
(٢) متفق عليه.  
(٣) متفق عليه.

أما أخطر تفاعلات وتداعيات ذلك الخداع المتآمر؛ فهو ما يأتي من الشيعة الإثني عشرية، عجمًا وعربًا؛ وذلك منذ دعا الخميني في بداية ثورته إلى تصديرها إلى دول الجوار، منادياً هو ومن بعده بإخضاع الحرمين لإدارة دولية، مصرين علانيةً على بث حملات إعلامية بأن مكة والمدينة واقعان منذ زمان تحت احتلال «النواصب» أعداء أهل البيت، ويعدّون ما يسمونه بـ«الوهابيين» هدفاً مستباحاً في جزيرة العرب، وهم يُجدّدون بذلك العداوة التاريخية المزمّنة ضد عامة أهل السنة، الذين يعدّونهم العدو الأول والأخير، مهما أخفوا ذلك في بعض الظروف، لتمرير بعض المخططات.

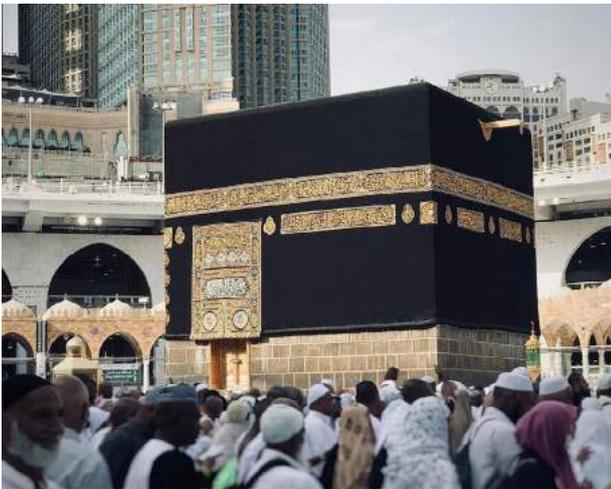
ولنا أن نتصور كيف يكون حال حج تسيطر عليه في بعض السنوات إدارة شيعية رافضية، ترفع شارات الثأر للحسين، وتدعوا أتباعها لممارسة طقوس اللطميات وضرب الصدور، محولة هتافات التلبية التوحيدية إلى شعارات سياسية، وقد يُرفع تحت إدارتها الأذان المبتدع: (حي على خير العمل)!! مع استغلال منابر الحرمين ذات الصيت العالمي - لا قدر الله - لبث الخرافات الشيعية باسم الدعوة الإسلامية، وهو ما ينفر عن الإسلام، ويصد عن دعوة التوحيد. ولعل هذا من علل تمرير ثورة الرافضة الموصوفة بـ«الإسلامية» دون غيرها من الثورات العربية والإسلامية.

والشيعة مع ذلك لا يُضيعون فرص التغير بغيرهم لتحقيق أهدافهم، وقد درجوا على استقطاب بعض الرموز الصوفية القبورية لترديد دعاوى التبادل في الإدارة والتدويل في الإشراف على الحرمين الشريفين، وهو ما قد تزداد وتيرته في المستقبل المنظور، مع ازدياد الحفاوة الغربية بتأهيل الطرق الصوفية، لتمثل بديلاً في العاطفة الدينية الشعبية للاتجاهات ذات النزعة السلفية، التي شهدت ازدهارا وانتشارها في المنطقة خلال العقود القليلة الماضية.

ولا شك أن هناك قوى عالمية معادية للدعوة

الإسلامية الصحيحة، ستبارك وتدفع بدعاوى التدويل، خاصة وأن فريضة الحج من أبرز المظاهر الدالة على بقاء وحدة الأمة، من خلال احتشاد الجموع من شعوب العالم الإسلامي تحت مظلة دين واحد؛ في زمان واحد ومكان واحد بنداء واحد ولباس واحد، ليقفوا جميعاً في موقف واحد، يتجهون ويطوفون حول قبلة واحدة، ليعبدوا إلهاً واحداً، متبعين شريعة واحدة. وهو ما لأجله يشتد الحسد، وتتضاعف الكراهية ويشيع الحزن والغیظ عند شياطين الإنس والجن أجمعين، وخاصةً عند متبوعهم اللعين، الذي وُصف حاله حين الحج الأكبر في الحديث بأنه: «ما رُبِّي الشيطان يوماً؛ هو فيه أَصْغَرُ، ولا أَذْهَبُ، ولا أَحْقَرُ، ولا أَغْيَظُ منه يومَ عرفة، وما ذاك إلا لِمَا يَرَى من تَنْزُلِ الرحمةِ وتَجَاوُزِ اللهِ -تعالى- عن الذنوبِ العِظَامِ؛ إلا ما كان من يوم بَدْرٍ»<sup>(١)</sup>.

إن دعاوى التدويل تدلّ في حقيقتها على نوايا التعطيل والتعكير لصفو هذه الشعيرة العريقة في البيت العتيق. ولا أدل على ذلك من أن جوهر المشروع الإيراني الفارسي يقوم على استباحة جزيرة العرب بعد تطويقها، والهيمنة على جميع البلدان في أطرافها؛ ليكون منها المنطلق إلى حيث المركز في مكة والمدينة؛ تمهيداً - كما يقولون - لخروج مهديهم المنتظر الذي يزعمون. ونسأل الله أن يحول بينهم وبين ما يشتهون.





أ.د. حكمت الحريري

## أقسام أعمال العباد من حيث الصحة والفساد

**كل عمل** يعمله العبد ولا يكون طاعةً لله وعبادة وعملاً صالحاً فهو باطل، فإن الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها إلا ما كان لله، وإن نال بذلك العمل رئاسةً ومالاً، فغاية المترئس أن يكون كفرعون، وغاية المتموّل أن يكون كقارون.

وقد ذكر الله تعالى في سورة القصص من قصة فرعون وقارون ما فيه عبرٌ لأولي الألباب.

قال الله تعالى عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وقال تعالى عن قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّهِ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

فإن فرعون مفسدٌ في حكمه وسلطانه، وقارون مفسدٌ في ماله وعلمه، حيث تكبرا على الناس، ويُنظر في ذلك تفسير ابن تيمية لسورة القصص.

ولذا جاء في الحديث الذي أخرجه مسلمٌ عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه ذرَّةٌ من كِبَرٍ، ولا يدخل النار مَنْ كان في قلبه ذرَّةٌ من إيمانٍ}، فقال رجل: يا رسول الله؛ إني أحب أن يكون ثوبي حسناً ونَعْلِي حسناً؛ أفمن الكِبَرِ ذاك؟ قال صلى الله عليه وسلم: {لا؛ إن الله جميلٌ يحب الجمال، الكِبَرُ بَطْرُ الحقِّ وغمَطُ الناسِ}، وبطْرُ الحقِّ: دفعه وجحده، وغمطُ الناسِ: احتقارهم وازدراؤهم.

### فأقسام الناس في العمل إذا كالاتي:

- القسم الأول: الذين يريدون العلو والفساد في الأرض كفرعون وقارون.
- القسم الثاني: الذين يريدون الفساد بلا علو، كالسُّراق والمجرمين من سفلة الناس.
- القسم الثالث: الذين يريدون العلو بلا فساد، كالذين عندهم دين يريدون أن يعلوا به على غيرهم من الناس.
- القسم الرابع: فهم أهل الجنة الذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا، مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم؛ «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون».

### أوجه الفساد في حياة العباد:

لكلمة الفساد وجوهٌ ونظائر، وهو في الأصل: خروج الشيء عن الاعتدال؛ قليلاً كان هذا الخروج أو كثيراً، ويُضاده الصلاح. وتستعمل كلمة الفساد فيما يخرج



عن الاستقامة، ويُذكر الفساد في الدين كما يُذكر في الذات، فتارةً بالعصيان وتارةً بالكفر. ومن العبادات ما يلزم المضي في فاسدها كالحج والعمرة، ومنها ما لا يُمضَى في فاسدها كالصلاة. ويُقال في العقود إنها فاسدة إذا لم يجب الحكم بها، وفي الدعاوى إذا لم تُسمع ويُلزم بالجواب عنها.. وفي الأقوال إذا كانت غير منتظمة، وفي الأفعال إذا لم يُعتدُّ بها. وذكر علماء التفسير أن كلمة الفساد في القرآن على سبعة أوجه:

**أحدها:** المعصية؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (البقرة: ١١).

**الثاني:** الهلاك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (المؤمنون: ٧١).

**الثالث:** قحط المطر وقلة النبات؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم: ٤١).

**الرابع:** القتل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ١٣٧)، أي: يقتلوا أهل مصر، وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الكهف: ٩٤)، أي: يقتل الناس، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦).

**الخامس:** الخراب؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ (البقرة: ٢٠٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا

قَرِيَةً أَفْسَدُوهَا ﴿﴾ (النمل: ٣٤).

**السادس:** الكفر؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ (هود: ١١٦).

**السابع:** السحر؛ ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: ٨١).

وإذا اجتمعت وجوه الفساد تلك أو كثرت في حياة قوم؛ فهم أحق باللوم على أنفسهم إذا فسدت معيشتهم بسبب فساد قلوبهم وعقولهم.

”

كلما أقيم العدل كثرت  
البركات والخير، ولهذا ثبت في  
الصحيح: (إن الفاجر إذا مات  
تستريح منه العباد والبلاد  
والشجر والدواب).

٢٢

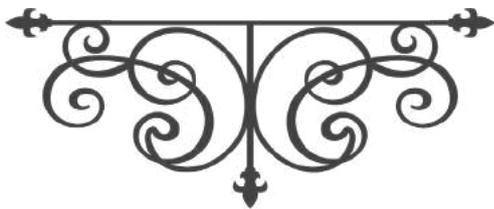
والسبب في هذا أن الحدود إذا أُقيمت إنكف الناس -أو أكثرهم، أو كثير منهم- عن تعاطي المحرمات، وإذا ارتكبت المعاصي كانت سببًا في محاق البركات من السماء والأرض، ولهذا إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت، من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية، وهو تركها فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، وإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج؛ قيل للأرض: أخرجي بركاتك، فياكل من الرمانة الفئام من الناس، ويستظلون بقحفها، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس، وما ذلك إلا بركة تنفيذ شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير، ولهذا ثبت في الصحيح: (إن الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب).

”

(لَحْدٌ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَى أَهْلِهَا مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا)،  
والسبب في هذا أن الحدود إذا أُقيمت  
إنكف الناس - أو أكثرهم، أو كثير  
منهم - عن تعاطي المحرمات، وإذا  
ارتكبت المعاصي  
كانت سببًا في محاق البركات من  
السماء والأرض،

٢٢

وللإمام ابن كثير كلام نفيس حول هذا المعنى عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ مَا عَمَلُوا وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ حيث قال: «جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: (لَحْدٌ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَى أَهْلِهَا مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا)،



﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ  
جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا  
عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

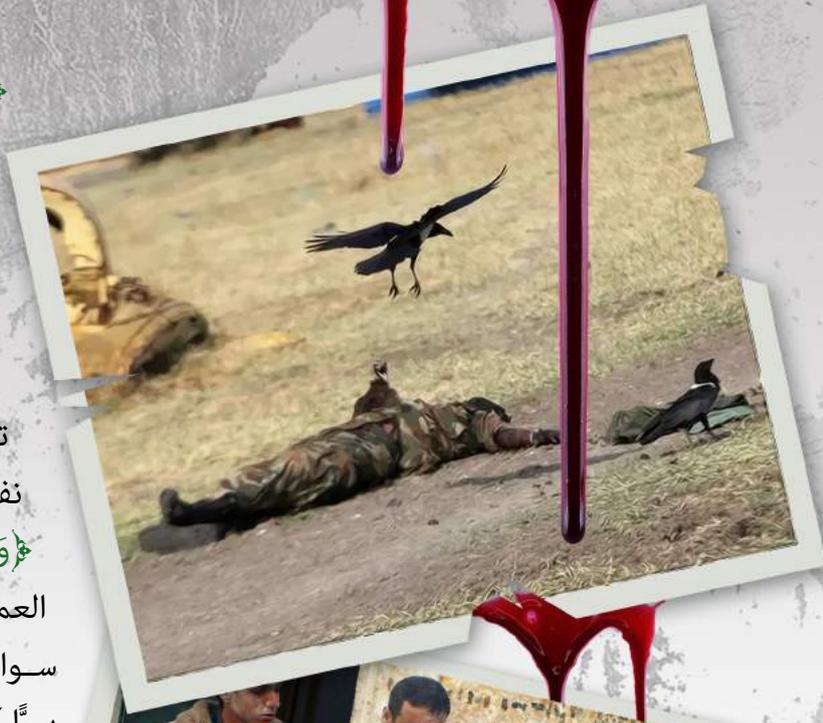
هذه الآية الكريمة من أشد آيات  
الوعيد الواردة في القرآن؛ وهي  
تطال بوعيدها كل من تعمّد قتل  
نفس مسلمة بغير حق.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ﴾: (مَنْ): من صيغ  
العموم؛ فهي تعم في حكمها كل (قاتل)؛  
سواء كان هذا القاتل مسلمًا أو كافرًا؛  
برًّا كان قبل إقدامه على ذلك القتل  
الآثم أم فاجرًا.

ويدخل فيه من تسبب في  
القتل بتحريض أو فتوى باطلة  
يُعلم بطلانها؛ ومن يزج بالمسلم  
في مهلكة بغير حق؛ ليقتل فيها؛  
وكذا من يسر بقتل مسلم بغير  
حق؛ وأقبح منه من يفرح بالدماء البريئة  
ليتكسب بها؛ كما يفعل بعض أهل السياسة.  
﴿مُؤْمِنًا﴾: (القتيل أي المقتول)، والمراد به كل  
مسلم؛ ممن لديه أدنى الإيمان؛ سواء كان محسنًا أم  
مسيئًا؛ طائعًا لله تعالى أم عاصيًا.

بل إن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها  
حرمت دماء غير المسلمين من المعاهدين والذميين  
والمستأمنين؛ عن عبد الله بن عمرو -رضي الله  
عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
«من قتل معاهدًا -وفي رواية ذميًا- لم يرح راحة  
الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا»  
(رواه البخاري).

﴿مُتَعَمِّدًا﴾ أي قاصدًا قتله؛ ويدخل فيه رميه  
بما يقتل به غالبًا؛ كإطلاق الرصاص عليه. عن ابن



د. محمد عبدالكريم

وَمَنْ يَقْتُلْ  
مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا

عليه وسلم- قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق» (رواه ابن ماجه بسند صحيح).  
فَحَذَارِ أَخَا الْإِيمَانِ؛ أَنْ تَتَوَرَّطَ فِي قَتْلِ نَفْسٍ مُسَلِّمَةٍ بَغَيْرِ حَقٍّ؛ فَإِنَّكَ لَا تَزَالُ فِي عَافِيَةٍ؛ مَا دُمْتَ بَعِيدًا عَنِ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ الشَّنِيعَةِ الَّتِي عَرَفْتَ عَاقِبَتَهَا.

ويستثنى من القتل الحرام؛ القتل والقتال المشروع؛ مثل قتل وقتال أهل البغي والعدوان؛ ممن لا ينفك المسلمون من شرهم إلا بقتالهم؛ ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الخوارج؛ فعن عليّ -رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْزِقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْزِقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيُّنَمَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (متفق عليه).

وكذلك شرع الله -تعالى- القتل في القصاص؛ وإقامة الحدود؛ لحديث ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبِ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ.» (متفق عليه).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ دَمٍ سَفَكَ فِي بِلَادِنَا؛ أَوْ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا بَغَيْرِ حَقٍّ.



سيرين قال سمعت أبا هريرة، يقول: قال أبو القاسم -صلى الله عليه وسلم-: «من أشار إلى أخيه بحديدة؛ فإن الملائكة تلغنه، حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» (رواه مسلم)؛ ويدخل في الآية؛ القاصدون لقتله من غير مباشرة؛ كالذين يُعَرِّزُونَ بِهِ فِي فِعْلٍ غَيْرِ مُشْرُوعٍ لِيُقْتَلَ.

هذا؛ وقد بيّن الله -تعالى- عقوبات القاتل للمسلم بغير حق في خمسة:

**أولها:** ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، يحترق فيها جسد القتلة بالنار؛ التي تعدل سبعين ضعفاً من نار الدنيا.  
**ثانيها:** ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾ فيمكث فيها زمناً طويلاً؛ ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

**ثالثها:** ﴿وَوَغِضِبَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وهذه أشد مما سبق؛ لأن من غضب الله عليه؛ فقد هلك؛ عياداً بالله من ذلك.

**رابعها:** ﴿وَوَلَعَنَهُ﴾ أي طرده من رحمته.

**خامسها:** ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، وهياً ورثب له؛ من صنوف التعذيب شيئاً مهولاً؛ لا يمكن لمخلوق كائناً ما كانت قوته أن يطيقه؛ فهو يتعدب عذاباً عظيماً؛ كما قتل جميع الناس؛ قال مجاهد -رحمه الله-: «من قتل نفساً محرمةً يصلّى النار بقتلها كما يصلها لو قتل الناس جميعاً؛ (ومن أحيها) أي من سلم من قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعاً».

والله إنها (وزطة العُمري) كما قال عبد الله بن عمر: «إن من ورطات الأمور، التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله» (رواه البخاري).

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا» (رواه البخاري).

وعن البراء بن عازب، أن رسول الله -صلى الله

# الموقف العلمي الوسطي

من أخبار الفتن



الشيخ: عبد الله الأهدل



**إن** ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيكون بعده، فوقع كما أخبر به صلى الله عليه وسلم؛ هو من معجزاته وأعلام نبوته.

وظهور المعجزات بعد زمان النبوة -ولا سيما في هذه الأزمان البعيدة من زمنه صلى الله عليه وسلم مما يزيد المؤمنين إيمانًا به، وتصديقًا بما أخبر به من الغيوب الماضية والغيوب الآتية مما لم يقع بعد.<sup>(١)</sup>

**فينبغي على أهل العلم أن يستفيدوا من نصوص الفتن والملاحم ويُفيدوا الأمة؛ وذلك بتنزيلها على محلها الصحيح، متى كانت المصلحة في ذلك، وإلا تعطلت النصوص، ولم يعمل بها؛ وذلك أن أشرط الساعة هي علامات عليها، فإن لم يتعين وقوع العلامات على أرض الواقع بحيث يعلمها الناس، لم يحصل المقصود الذي أراده الشارع من نصبها علامات تذكر الناس بالساعة والعمل لها، كما أن أحاديث الفتن إنما ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم ليحذر الناس من الوقوع فيها، ولهذا قال حذيفة رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني...»<sup>(٢)</sup>**

وقد كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يعتنون بأحاديث الفتن -ولحذيفة خصوصية في ذلك-، ومن شواهد

(١) انظر: إتحاف الجماعة للتوحيدي (٦/١-٧).

(٢) رواه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧).

عنايتهم بأحاديث الفتن وتنزيلها: تنزيل أحاديث الدجال على ابن صياد، ومنهم من كان يحلف على ذلك بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل على أن إنزال نصوص الفتن على الواقع له أصل.. وبقطع النظر عن صواب جزمهم من خطئه، فإن عدم جزم النبي صلى الله عليه وسلم بأن ابن صياد هو الدجال، مع وجود قدر من التشابه بينهما، فيه لفتة مهمة إلى أن تحقق جزء من العلامة أو مقدماتها، قد لا يكفي للحكم بأن العلامة قد تحققت! أو أنها أوشكت؛ لأنها قد تكون مشابهة لها وليست هي.

وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من لزوم التأني في أمر ابن صياد هو الصحيح، لأنه تبين له بعد ذلك أن ابن صياد ليس المسيح الدجال. وينبغي ملاحظة أمر مهم: وهو أن الصحابة الذين

الشرعية، إذا خالفت المنصوص عليه في الشرع، ولذا لما قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم -في شأن ابن صياد-: يا رسول الله، أتأذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن يكن هو لا تسلط عليه، وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله»<sup>(١)</sup>.

فقوله: «إن يكن هو لا تسلط عليه»؛ لأن الدجال إنما يقتله عيسى ابن مريم عليه السلام في تقدير الله -كما صحت به الأحاديث-

وكان حذيفة رضي الله عنه ينسى العلامة من علامات الساعة، فإذا رآها ماثلة على أرض الواقع، تذكر ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في شأنها -مما يعني أنه طبق ما تذكره على ما رآه- وفي ذلك يقول: «لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته فأعرفه كما يعرف الرجلُ الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه»<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذا التمهيد يمكننا أن نستخلص منهجية في التعامل مع نصوص وأحاديث الفتن مستنبطة من قواعد النظر والاستدلال عند أهل السنة والمستخلصة من الكتاب والسنة وفهم السلف وصحيح اللغة:

١- جمع النصوص في كل حدث.<sup>(٣)</sup>

٢- اعتماد فهم السلف لأحاديث الفتن.

٣- حمل اللفظ على ظاهره إلا لقرينة، كالنصوص التي ظاهرها عودة الناس إلى الخيول والسيوف؛ لأن النصوص للهداية والبيان؛ ولأن التقنيات مرتبطة بأسبابها، فإن زالت الأسباب زالت تلك التقنيات.

٤- رد المتشابه إلى المحكم؛ فلو اشتبه حال المهدي فإنه يُردُّ إلى صفاته المحكمة، كالجيش الذي يقصد المهدي فيُخسف بأوله وآخره، وأن المهدي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وينبغي الحذر عند قراءة أحاديث الفتن لإسقاطها على الواقع لما في ذلك من الزلات والمحاذير الكثيرة،

”  
هناك منهجية في التعامل مع نصوص وأحاديث الفتن مستنبطة من قواعد النظر والاستدلال عند أهل السنة ومستخلصة من الكتاب والسنة وفهم السلف وصحيح اللغة ، وينبغي مراعاتها

جزموا بأن ابن صياد هو الدجال، توقفوا عند هذا الحد، فلم يقم أحدهم بقتله! مع قدرتهم عليه، وهذا يدل على أن الصحابة فهموا أن التكليف المتعلق بنصوص الفتن؛ هو أن يؤمنوا بها ويعملوا بما وجهت إليه، من غير زيادة أو نقصان؛ ولأن أحاديث الفتن هي إخبار بمغيبات، وهي سنن كونية؛ فلا محل للاستدلال بها على الأحكام

(١) رواه البخاري (٦١٧٣).

(٢) رواه البخاري (٦٦٠٤) ومسلم (٢٨٩١). انظر كتاب: ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية، للدكتور/ ياسر بن عبد الرحمن الأحمد، ص(٦٦-٦٩).

(٣) موسوعة أحاديث الفتن.

من أهمها:

**أولاً:** قبولها على عواهنها، وعدم البحث عن صحتها.  
**ثانياً:** تحريف معانيها، وإخراجها عن مراد المتكلم بها، من خلال معاناة وضغوط الواقع على الباحث فيها، أو القارئ لها، بحيث يأخذها أخذاً أولياً، بمعزل عن سائر ما ورد في الباب، أو يستنبط منها أشياء على غير قواعد أهل العلم في الاستدلال.  
**ثالثاً:** التعدي على المُسَلَّمات والقواعد الكليات؛ مثل: تحديد موعد قيام الساعة، أو موعد خروج المهدي، أو موعد زوال دولة يهود... وهكذا.  
قال الإمام القرطبي: والذي ينبغي أن يقال به في هذا الباب، أن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر.<sup>(١)</sup>

**رابعاً:** الجرأة على أمور الغيب الوارد ذكرها في نصوص الوحي وربطها بأحداث واقعية أو متوقعة، دون أية أمانة أو إشارة إلى صحة هذا الربط، كما صنع غير واحد.. مثل ربط مثلث برمودا بالدجال، والجزم بذلك.<sup>(٢)</sup>

وقد ذكر عبد الله بن صالح العجيري في كتابه «معالم ومنازل في تنزيل أحاديث الفتن والملامح وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث» أربعة وعشرين معلماً، نذكر منها:

**المعلم الأول:** الاقتصار على نصوص الوحيين في الاستدلال.

**المعلم الثاني:** التحقق من ثبوت النص.

**المعلم الثالث:** التحقق من معنى النص.

**المعلم الرابع:** الأصل حمل النص على ظاهره.

**المعلم الخامس:** أن يكون التنزيل عارياً عن التكلف.

فيكون انطباق النص على الواقع انطباقاً بيناً واضحاً، فتظهر هذه المطابقة للعالم ويتفهمها العامي، ويتأكد هذا فيما للشارع قصد في معرفته

وتنزيله من قضايا كبرى؛ ليتحقق مقصوده من ذكر هذه النصوص، وذلك كعرفة المسيح الدجال، والمسيح ابن مريم مثلاً.

**المعلم السادس:** التحقق من انطباق النص على الواقع، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع ابن صياد، وكما فعل علي مع الخوارج وانطباق الصفات عليهم.

**المعلم السابع:** النظر في استكمال الواقعة للأوصاف الواردة في النص من عدمه.

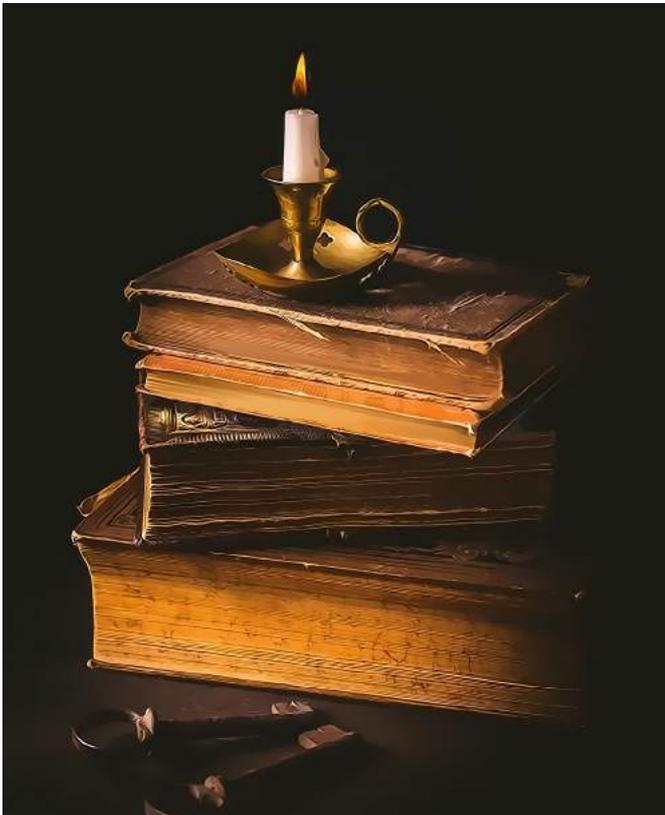
**المعلم الثامن:** أن يكون النص حكماً على الواقع لا العكس.

**المعلم التاسع:** التآني في التنزيل.

**المعلم العاشر:** مراجعة العلماء في هذا الباب.

**المعلم الحادي عشر:** التجرد في البحث والخروج عن الهوى.

فإن من تتبع أحوال مدعي المهودية ودعاتهم علم شيئاً من هذا وظهر له حجم التكلف في تطبيق نصوص المهدي على مهديهم لتسلم لهم أهواؤهم ولو عارضت النصوص.



(١) التذكرة ص (٧٣٦).

(٢) انظر: العراق في أحاديث وآثار الفتن (٢/٥٩٩-٦١٦).

**المعلم الثاني عشر:** محاولة افتعال واقع يمكن أن تنزل عليه النصوص.

قال الشيخ محمد إسماعيل المقدم: ومن العبث بأشراط الساعة: تكلف بعضهم اصطناع هذه الأشراف، وإيجادها في الواقع عنوة، حتى إن من مدعي المهديّة من يغير اسمه واسم أبيه، أو يدعي الانتساب إلى آل البيت الشريف..<sup>(١)</sup>

**المعلم الثالث عشر:** إعطاء كل تنزيل حقه من القطع والظن.

فلا يصح إعطاء حكم التنزيل حكمًا واحدًا من حيث القوة، كما لا يصح أن يعطى القطعي منها حكم الظني ولا الظني حكم القطعي، بل يجب أن ينزل الكل في منزلته اللائقة به.. ومثاله ما صح في حديث أسماء في قصة مقتل ابن الزبير؛ قالت وهي تخاطب الحجاج: «أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها.»<sup>(٢)</sup>

قال النووي: وقولها في الكذاب: «فرأيناه» تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب، ومن أقبحه ادعى أن جبريل عليه السلام يأتيه. واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد، وبالمبير الحجاج بن يوسف، والله أعلم.<sup>(٣)</sup>

**المعلم الرابع عشر:** مراعاة البعد الزمني وترتيب الأشراف.

ومثال هذا ما صح عن يسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة! قال: فقع وكان متكئًا، فقال: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة...»<sup>(٤)</sup>.

**المعلم الخامس عشر:** الاشتراك في الاسم بين النص

والواقع لا يلزم أن ينزل النص على هذا الواقع. فلا بد من اعتبار بقية صفات الواقعة في النصوص ومدى استكمال الواقعة لها للتنزيل، ومن الأمثلة الموضحة لهذا ما قاله الإمام ابن كثير: وقد نطقت هذه الأحاديث التي أوردناها آنفًا بالسفاح والمنصور والمهدي، ولا شك أن المهدي الذي هو ابن المنصور ثالث خلفاء بني العباس ليس هو المهدي الذي وردت الأحاديث المستفيضة بذكره وأنه يكون في آخر الزمان يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا، وقد أوردنا للأحاديث الواردة فيه جزءًا على حدة كما أفرد له أبو داود كتابًا في سننه، وقد تقدم في بعض هذه الأحاديث آنفًا أنه يسلم الخلافة إلى عيسى بن مريم إذا نزل إلى الأرض والله أعلم...

والحمد لله رب العالمين..



(١) المهدي وفقه أشراط الساعة ٦٣١.

(٢) رواه مسلم ٢٥٤٥.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٠٠/١٦.

(٤) رواه مسلم ٢٨٩٩، والإمام أحمد في المسند ٤١٣٥.



# الانتخابات التركية.. وجدل الديمقراطية

د. أبو العز صالح آل داود

**تثور** مناقشات بين الإسلاميين حول المنافسات الانتخابية تحت مظلة الديمقراطية، كلما دارت هذه العملية في بلاد إسلامية يشارك فيها إسلاميون. وتعليقاً على هذا السجال المتكرر، نريد التذكير بالأمر التالية: أولاً: كلما كانت المناقشة بالتي هي أحسن وبالتلطف فهو أدعى لقبول الحق وتبينه. ثانياً: مما يقرب وجهات النظر بين المتناقشين، ويساعد على تفهّم المسألة فهماً صحيحاً:

- 1- أن الديمقراطية نظام غربي بلا خلاف.
- 2- هذه الديمقراطية فيها غايات ووسائل؛ أما الغايات فهي فصل الدين عن الدولة، وجعل الشعب هو صاحب الحق في اختيار قوانين حُكمه في التحليل والتحرير والإيجاب والإسقاط. وهذا القدر كُفّر بالله وشرك في التشريع مضاداً لأصول الإسلام بالإجماع.. وهو ليس محل خلاف بين أهل الاسلام كما في النقاشات المقصودة بين الإسلاميين.

٣- أما الوسائل في الديمقراطية فأشهر ما يتم النقاش حوله هو: الانتخابات. وهي طريقة اختيار الحاكم. ففي الديمقراطية الطريقة هي: مشاركة جميع الشعب:

مسلمهم وكافرهم؛  
مؤمنهم وفاسقهم؛  
عفيفهم وفاجرهم؛  
عالمهم وجاهلهم،  
عاقلمهم وسفيههم...  
الكل سواء..



وهذا طريقة محرمة؛ لأنها مخالفة لطريقة الشريعة الإسلامية التي اسمها (الشورى)، وهي تشاور واختيار أهل الحل والعقد، وهم العلماء ومن يستعينون بهم من أهل السياسة والخبرة والعقل والحكمة. وليس لكل من هبّ ودبّ من الغوغائية والفوضى، وجعل مصير الأمة بيد الأغلبية التي هي لا تعلم ولا تفقه ولا توقن ولا تشكر؛ كما أخبر الله في القرآن في عدة مواضع ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، ﴿لا يؤمنون﴾، ﴿لا يشكرون﴾. وقد يسقط هؤلاء الأغلبية الحاكم الصالح بهذه الديمقراطية الغوغائية لجهل أكثر الناس..

وانحراف بعضهم العقدي..

وانحراف بعضهم الأخلاقي..

وبيع بعضهم أصواتهم وذممهم بلعاعة من الدنيا..

وانخداع الكثير بالإعلام المضلل المشوّه بالصالحين والمزّين للمفسدين. فمحكّ الخلاف هنا في أمرين:

**أولهما** جعل الانتخابات الديمقراطية هي الشورى الإسلامية؛ وهذا باطل مخالف للشرع والواقع لما تقدم..

ومحاولة بعض الإسلاميين السياسيين أسلمتها محاولة مرفوضة أملاها عليهم واقعهم السياسي الذي رضخوا له وتراجعوا تحت ضغطه حتى جعلوا الحرام حلالاً.. مع أنهم كانوا في سعة من أمرهم، وهو ممارسة الانتخابات لكونها ضرورة أكرهوا عليها، مع توفير كل هذا العناء المتكلف.. وهنا يشتدّ الخلاف، ويغضب من يغضب حين يرى أسلمة هذا النظام الغربي الغوغائي، وإلباسه لباس الشريعة مع مخالفته وبطلانه.

**ثانيهما:** عدم التفريق بين حال الاضطرار وحال الاختيار..

**ففي حال الاختيار؛ نعم يجب رفض الانتخابات الغوغائية، وتطبيق نظام الشورى الإسلامية الذي يقصر انتخاب الحاكم على أهل الحل والعقد. وأما في حال الاضطرار: عند فرض الانتخابات الديمقراطية على الشعب؛ فهنا تلوح للمسلم ثلاثة خيارات:**

**الخيار الاول:** أن الحال هنا حال اضطرار كأكل الميتة؛ فيفعل المفسدة الصغرى، وهي انتخاب الرجل الصالح الذي يخفف الشر وإن لم يستطع تطبيق الشريعة كلها؛ وذلك لدرء المفسدة الكبرى التي هي توالي الرجل الفاسد المحارب للدين وأهله..

وهذا هو موقف الفقه والعقل، وعليه فتاوى كثير من كبار علماء الأمة؛ كابن عثيمين والعباد والبراك، وغيرهم..

**الخيار الثاني:** موقف الاعتزال وترك الانتخابات..  
بناء على عدم شرعيتها.

وأصحاب هذا الخيار لهم اجتهادهم، وله وجه وإن كان مرجوحًا عند أصحاب الخيار الأول؛ ولا يشنَّ عليهم، لكن بشرط مهم، وهو ألا يكونوا من أصحاب الخيار الثالث، وهو:

**الخيار الثالث:** أن يشنَّ على مَنْ يرى المشاركة في الانتخابات للضرورة؛ ويجعل المرشح الإسلامي الذي يسعى لنصرة الإسلام في حدود قدرته واستطاعته يجعله كالمرشح العلماني الذي يتوعد بحرب الله ورسوله وأوليائه وطمس معالم الدين.. فيجعل الجميع سواء في درجة واحدة.. ويسعى بذلك في الإعلام ووسائل التواصل محذرًا من الصالحين ومتناسيًا للعلمانيين المستبدين المتخطفسين الذين سيأتون يهدمون المسجد على رأسه، ويمزقون مصحفه وينتزعون حجاب المؤمنات.. وهذا خيار مَنْ جمَع بين الجهل والحمق والسفه واستحمار العلمانيين ومخابراتهم له؛ ليستخدموه في إسقاط الإسلاميين خدمةً للعلمانيين المستبدين المجرمين أذئاب اليهود والنصارى.

وهذا الموقف هو الذي يجب أن يستيقظ صاحبه، ويتوب إلى الله منه، وعليه في أقل الاحوال أن يرجع إلى الخيار الثاني، وهو أن يعتزل؛ ولكن لا يكون أداة للمفسدين لعرقلة من يريد الإصلاح وخدمة الإسلام بما يستطيع؛ فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

**الوصية في مثل تلك النوازل المعاصرة:**

**أولاً:** التزود بتقوى الله، فهو -سبحانه- يقول:

﴿واتقوا الله ويُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ﴾..

**ثانيًا:** دعاء الله -سبحانه- وسؤاله الهداية والرشاد في كل المواقف.

**ثالثًا:** التفقه في الدين والعناية بالأصلين:

أصول الاعتقاد..

وأصول الفقه..

فمن جمع بينهما جمع بين: حفظ الشريعة، وكيفية تطبيقها في الواقع في ضوء قواعدها العظيمة المكيئة، والتي منها: الترجيح بين المصالح والمفاسد؛ واعتبار المآلات، وإعمال أحكام الضرورة في محلها من غير أن يبدل الدين أو يحل حرامًا أو يحرم حلالًا، ومن دون أن يتراجع ويخضع الشريعة للواقع، فيكثر التلون؛ فما كان بالأمس عنده حرامًا صار اليوم حلالًا من غير ضرورة؛ وما هو اليوم حلال عنده يصيره في الغد حرامًا من غير ضرورة. فلنحذر التلون، فإن دين الله واحد.

والله تعالى أعلم وأحكم

وهو المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



د. قاسم بن علي قعبان  
عضو رابطة علماء المسلمين

## العجز عن تحكيم الشريعة والطريق إلي تجاوزه

**ابتليت** الأمة الإسلامية في هذا الزمان بتسلط الأعداء من اليهود والنصارى من الخارج، ومردة المنافقين من الداخل، الذين تربطهم بأعداء الخارج أواصر اعتقادية ومصالح دنيوية، كما أخبر الله تعالى عنهم بأنهم: ﴿مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، وحال هؤلاء المنافقين كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

وهذا الحال السيء الذي تمر به الأمة أورث إشكالات كثيرة في القول والعمل، ولما كان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- من العلماء المجتهدين المحققين، وقد عايش أيام التتر، وهي أيام تشبه أيامنا في كثير من الوجوه؛ حيث تسلط فيها الكفار على المسلمين، وبين رحمه الله تعالى -كأمثاله من العلماء- كلمة الحق من العلم الذي أوجبه الله عليهم، وتكلم عن العمل الممكن للأمة في ظل تلك الدولة الكافرة بما يمكن أن يُستفاد منه في تنزيل الحكم على زماننا هذا، ولذا نقلت عنه كثيراً في هذا البحث.

### اختلاف أحكام ضعف المسلمين عن أحكام قوتهم:

يقول الدكتور عبدالله بن إبراهيم الطريقي: فقد تعتبر هذه الأحوال التي تعيشها بلاد المسلمين حالة ضرورة لا مناص منها، والضرورات تبيح المحظورات.. وعندئذ تُقدَّر هذه الحالة بقدرها، وعلى المسلمين بذل

الجهد في معالجة واقعهم والخروج من هذا المأزق الحرج. اهـ<sup>(١)</sup>.

ومهما كانت أسباب ضعف الأمة -من جهل أو تفرق أو غير ذلك- إلا أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لحال ضعف الأمة أحكامًا تختلف عن حال تمكّنها وقوّتها، لتعلّق التكليف بالقدرة والاستطاعة، وقُدرة الضعيف دون قُدرة القوي، وهذه الأحكام تتناول العقائد كما تتناول المسائل الفقهية.

ألا ترى «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمع من الكفار والمنافقين في أول الإسلام وهم لا زالوا في حال الضعف أذىً كثيرًا، وكان يصبر عليه؛ امتثالاً لقوله تعالى: {وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ}؛ لأن إقامة الحدود عليهم كان يُفضي إلى فتنة عظيمة ومفسدة أعظم من مفسدة الصبر على كلامهم. فلما فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله أفواجًا وأنزل الله براءة؛ قال فيها: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، وقال تعالى: {لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُقْفُوا أَخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾»<sup>(٢)</sup>.

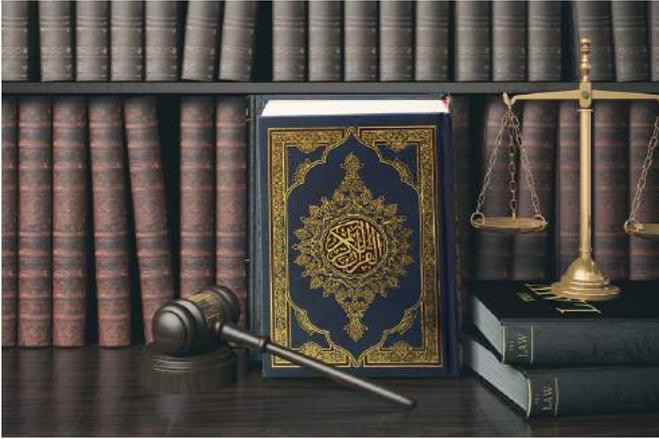
«ثم إن من الناس من يسمي ذلك نسخًا لتغير الحكم، ومنهم من لا يسميه نسخًا؛ لأن الله تعالى أمرهم بالعفو والصفح إلى أن يأتي الله بأمره، وقد أتى الله بأمره من عزّ الإسلام وإظهاره، والأمر بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون...»

ومن الناس من يقول: الأمر بالصفح باقٍ عند الحاجة إليه بضعف المسلم عن القتال، بأن يكون في وقت أو مكان لا يتمكن منه، وذلك لا يكون منسوخًا؛ إذ المنسوخ ما ارتفع في جميع الأزمنة المستقبلية»<sup>(٣)</sup>.

والقول الأخير هو اختيار شيخ الإسلام؛ فإنه قدم في كلامه -في نفس الكتاب- قوله: «وصارت تلك الآيات في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه، فينتصر بما يقدر

عليه من القلب ونحوه، وصارت آية الصغار على المعاهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده أو لسانه، وبهذه الآية ونحوها كان المسلمون يعملون في آخر عمر رسول الله وعلى عهد خلفائه الراشدين، وكذلك هو إلى قيام الساعة، لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام، فمن كان من المؤمنين بأرضٍ هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركون، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون»<sup>(٤)</sup>.

وضعف الأمة ينتج عنه عجزها عن تحكيم شرع الله تعالى في بعض الأحكام، وفي هذه الحال تكون الأمة مكلفة بما تستطيع، ويستوي في هذا الحكم الحكام والمحكومون.



قال ابن القيم رحمه الله: «فيجب تحريّ خير الخيرين ودفع شر الشرين، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفرحون بانتصار الروم والنصارى على المجوس عباد النار؛ لأن النصارى أقرب إليهم من أولئك، وكان يوسف الصديق -عليه السلام- نائبًا لفرعون مصر وهو وقومه مشركون، وفعل من الخير والعدل ما قدر عليه، ودعا إلى الإيمان بحسب الإمكان»<sup>(٥)</sup>.

(٥) الطرق الحكيمة لابن القيم (٦٢٦/٢).

(١) كتاب الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، ص (١٨٤).

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص (٢٢٣). ف.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص (٢٣٩).

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص (٢٢١).

أحوال العجز عن إقامة الشريعة والطريق إلى تجاوز العجز:

الحاكم المسؤول عن تحكيم الشريعة قد يكون فرداً، وقد يكون جماعة، كالحكومات التي تديرها مؤسسات لا فرد، وهي عاجزة عن الحكم بكل الشريعة، وذلك لأسباب وظروف معينة يأتي الكلام على مجملها، وسيكون الكلام هنا في مسألتين:

### المسألة الأولى: أسباب العجز عن إقامة الشريعة وحالاته:

العجز يكون لفوات شرط أو قيام مانع، ويمكن أن يُقال: إن للعجز أسباباً تجعله على حالتين؛ لانقسام العجز إلى أسباب داخلية وأسباب خارجية.

### الحالة الأولى: العجز لأسباب من الداخل؛ «كَمَا

فَعَلَ النَّجَاشِيُّ وَعَیْرُهُ، فَهُوَ لَمْ يُكِنِّهِ الْهَجْرَةُ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ وَلَا التَّزَامَ جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ لِكَوْنِهِ مَمْنُوعًا مِنَ الْهَجْرَةِ وَمَمْنُوعًا مِنْ إظهارِ دِينِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَنْ يَعْلَمُهُ جَمِيعَ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ... فَالنَّجَاشِيُّ هُوَ -وَإِنْ كَانَ مَلِكَ النَّصَارَى- فَلَمْ يُطْعَهُ قَوْمُهُ فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، بَلْ إِمَّا دَخَلَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْهُمْ؛ وَلِهَذَا لَمَّا مَاتَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ... خَرَجَ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّهُمْ صُفُوفًا وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَوْتِهِ يَوْمَ مَاتَ، وَقَالَ: (إِنَّ أَخَا لَكُمْ صَالِحًا مِنْ أَهْلِ الْحَبَشَةِ مَاتَ)، وَكَثِيرٌ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ أَوْ أَكْثَرِهَا لَمْ يَكُنْ دَخَلَ فِيهَا؛ لِعَجْزِهِ عَنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يُهَاجِرْ وَلَمْ يُجَاهِدْ وَلَا حَجَّ الْبَيْتَ! بَلْ قَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَلَا يَصُومُ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَا يُؤَدِّي الزَّكَاةَ الشَّرْعِيَّةَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَظْهَرُ عِنْدَ قَوْمِهِ فَيُنْكِرُونَهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ لَا يُكِنِّهِ مُخَالَفَتَهُمْ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُكِنِّهِ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ، وَاللَّهُ قَدْ فَرَضَ عَلَيَّ

نَبِيِّهِ بِالْمَدِينَةِ أَنَّهُ إِذَا جَاءَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ لَمْ يَحْكُمْ بَيْنَهُمْ إِلَّا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَحَدَّرَهُ أَنْ يَفْتِنُوهُ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ. وَهَذَا مِثْلُ الْحُكْمِ فِي الرِّثَا لِلْمُحْصَنِ بِحَدِّ الرَّجْمِ، وَفِي الدِّيَاتِ بِالْعَدْلِ؛ وَالتَّسْوِيَةِ فِي الدَّمَاءِ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ؛ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ...، وَعَیْرِ ذَلِكَ. وَالنَّجَاشِيُّ مَا كَانَ يُكِنِّهِ أَنْ يَحْكُمَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ قَوْمَهُ لَا يُقْرُونَهُ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

**الحالة الثانية:** العجز لأسباب من الخارج كتسلط الأعداء على المسلمين، قال أبو العباس: «وَكَثِيرًا مَا يَتَوَلَّى الرَّجُلُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّتَارِ قَاضِيًا، بَلْ وَإِمَامًا، وَفِي نَفْسِهِ أُمُورٌ مِنَ الْعَدْلِ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا فَلَا يُكِنِّهِ ذَلِكَ، بَلْ هُنَاكَ مَنْ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ، وَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»<sup>(٢)</sup>.



ومما يصلح مثالاً واضحاً في هذا العصر: حكومة طالبان الإسلامية في أفغانستان، والمحاكم الإسلامية في الصومال (في عهدهما الأول)، فما إن رأى الأعداء ظهور أحكام الإسلام فيهما حتى اجتمعت كلمتهم وأفعالهم مع المنافقين على شنِّ حربٍ عالمية شاملة أكلت الأخضر واليابس.

فإن قال قائل: فما الفرق بين العاجز الذي لم يمكنه الحكم إلا بما أمكن من الشريعة وبين العلمانيين الديمقراطيين المنتسبين للإسلام الذين يعتذرون

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (١١١/٥ - ١١٣)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢١٧/١٩ - ٢١٨).

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (١١٣/٥)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢١٨/١٩).

بالضغوط الخارجية؟

كان الجواب: أن الفرق يظهر بقرائن الأحوال، ولحن الأقوال، وفي النيات كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ افْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].  
وكما قال سبحانه: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

فالذين تخلفوا عن غزوة تبوك مثلاً منهم المنافقون ومنهم المعذورون، فاستوتوا في أصل التخلف وهو عدم الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن المعذورين شاركوا بنياتهم وشاركوا الغازين في الأجر كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم كما أن العاجز غير راضٍ بالواقع، ولكنه فعل ما استطاع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، أما العلمانيون فهم راضون بالواقع، بدليل لحن الأقوال وصرائح الأحوال.

**المسألة الثانية:** الطريق إلى تجاوز العجز عن تحكيم الشريعة:

لا بد في تطبيق الأحكام الشرعية من مراعاة المصالح والمفاسد في الأعمال والأشخاص، وقد مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -على مسألة سقوط وجوب النهي لثلاث تقع مفسدة أكبر- بما لو «أَسْلَمَ بَعْضُ الْمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَشْرِبُ الْخَمْرَ أَوْ يَفْعَلُ بَعْضَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَلَوْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ».

فَفَرَّقْ بَيْنَ تَرْكِ الْعَالِمِ أَوْ الْأَمِيرِ لِنَهْيِ بَعْضِ النَّاسِ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ فِي النَّهْيِ مَفْسَدَةٌ رَاحِحَةٌ؛ وَبَيْنَ إِذْنِهِ فِي فِعْلِهِ. وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ؛ فَفِي حَالٍ أُخْرَى يَجِبُ إِظْهَارُ النَّهْيِ: إِمَّا لِبَيَانِ التَّحْرِيمِ وَاعْتِقَادِهِ وَالْخَوْفِ مِنْ فِعْلِهِ، أَوْ لِرَجَاءِ التَّزَكُّ، أَوْ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ؛ وَلِهَذَا تَنَوَّعَ حَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَجِهَادِهِ وَعَفْوِهِ، وَإِقَامَتِهِ الْحُدُودَ وَغَلْظَتِهِ وَرَحْمَتِهِ» (١).

ولا يعني ما سبق من بيان الحكمة في التعامل مع الواقع ترك الأخذ بالأسباب للخروج من الضعف، فالأخذ بهذه الأسباب مأمورٌ به، وأول منازلها: وجود الإرادة الجادة، وترجمة هذه الإرادة إلى عمل، وتخلف هذه الإرادة والعمل بها وقوعٌ في النفاق واستحقاق غضب الله وعقابه في الدارين، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ افْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

”

لا يعني ما سبق من بيان الحكمة في التعامل مع الواقع ترك الأخذ بالأسباب للخروج من الضعف، فالأخذ بهذه الأسباب مأمورٌ به، وأول منازلها: وجود الإرادة الجادة وترجمة هذه الإرادة إلى عمل، وتخلف هذه الإرادة والعمل بها وقوعٌ في النفاق واستحقاق غضب الله وعقابه في الدارين.

٢٢



”

كما أن العاجز غير راضٍ بالواقع، ولكنه فعل ما استطاع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، أما العلمانيون فهم راضون بالواقع، بدليل لحن الأقوال وصرائح الأحوال.

٢٢

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٢/٣٥).

# تدوين السنة



الشيخ  
مصطفى البدرى

## خلاصة جهود العلماء في حفظ وتدوين السنة النبوية

تقريب المشهد

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن على أصحابه الكرام، وهو يعيش وسطهم، موضحاً ومبيناً كل ما يحتاجون إليه قولاً وعملاً؛ وكان عامة الصحابة يحفظ ذلك في صدره، في حين عمد بعضهم إلى كتابته، ومثال ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «ما من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أحدٌ أكثرَ حديثاً عنه مِنِّي، إلا ما كانَ من عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو؛ فإنه كانَ يَكْتُبُ ولا أَكْتُبُ». ورغم أن عدداً كبيراً من الصحابة قد روى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إلا أن قليلاً منهم هم الذين وصفهم العلماء بأنهم: المُكثِرُونَ من الرواية. وقد اشتهر ذلك عن تسعة: أبو هريرة، عبد الله بن عمر، أنس بن مالك، أم المؤمنين عائشة، عبد الله بن عباس، جابر بن عبد الله، أبو سعيد الخدري، عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عن الصحابة أجمعين-.

وقد ظهرت في الصدر الأول صُحُف ومرويات مكتوبة؛ كصحيفة أبي بكر في فرائض الصدقة، وصحيفة علي بن أبي طالب، وصحيفة عبد الله بن عمرو (الصحيفة الصادقة)، وصحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة...يرها.

كما ظهر في عصر التابعين عددٌ كبيرٌ من الصُحُف؛ ذكرها الخطيب البغدادي في كتابه: تقييد العلم. وكل هذا قبل محاولة الجمع والتدوين العام التي حصلت في عهد عمر بن عبد العزيز، وبرز فيها ثلاثة أسماء: (محمد بن عمرو بن حزم ت ١٢٠هـ ابن شهاب الزهري ت ١٢٤هـ صالح بن كيسان ت ١٤٠هـ).

### التدوين الخاص أو التصنيف

في حين بقي بعض الصحابة في المدينة النبوية؛ هاجر آخرون وانتشروا في الأمصار؛ مكة، الكوفة، البصرة... وغيرها.

وما نحتاجه هنا هو عبد الله بن عُمَر رائد مدرسة المدينة، وعبد الله بن مسعود مؤسس مدرسة الكوفة؛ حيث تتلمذ نافع المدني وعبد الله بن دينار على (سيدهما) عبد الله بن عُمَر، وحملوا عنه الحديث، ونقلوه إلى إمام دار الهجرة: مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، والذي صنّف الموطأ.

وعلى الجانب الآخر تتلمذ علقمة بن قيس النخعي على ابن مسعود، وتلمذ إبراهيم النخعي عليه، ثم حماد بن أبي سليمان على إبراهيم، ويُعدّ حماد أبرز شيوخ إمام أهل الرأي: أبو حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ) وهو وإن لم يُصنّف في السُنّة.. إلا أن تلاميذه رووا عنه ما اشتهر بعد ذلك باسم: مسند أبي حنيفة.

واستمرت السلسلة بين مالك وتلميذي أبي حنيفة: (القاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني)؛ لتصل إلى إمام بغداد ومصر: محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، والذي صنّف كتاب الأم؛ واستلّ منه تلاميذه وتلاميذهم ما عُرف بعد ذلك باسم: مسند الشافعي.

حتى انتقل الأمر إلى إمام الفقه والحديث أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، والذي صنّف كتابًا عظيمًا حوى قرابة الثلاثين ألف حديث؛ وأسماه: المسند.

وقد برز في هذه الحقبة أيضًا الإمامان الجليلان: عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ)، وأبو بكر ابن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، وأخرج كل منهما إنتاجًا علميًا كبيرًا، فكان مصنّف عبد الرزاق ومصنّف ابن أبي شيبة علامات فارقة في تدوين وتصنيف السنة النبوية؛ وتميّز المصنّفان برواية آثار الصحابة والتابعين بجوار الحديث النبوي.

### العصر الذهبي لتدوين السُنّة النبوية

خلال القرن الثالث الهجري كانت عملية جمع الأحاديث وتدوينها وتصنيفها على الكتب والأبواب الفقهية تجري على قدم وساق؛ فصنّف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) كتابه الجامع الصحيح، وكذلك: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)؛ حيث اشترط كل واحد منهما الاقتصار على الصحيح فقط.

وتتابعت عملية تدوين السُنّة على يد الأئمة الأربعة المعروفين: (أبو داود السجستاني ت ٢٧٥هـ أبو عيسى الترمذي ت ٢٧٩هـ أبو عبد الرحمن النسائي ت ٣٠٣هـ أبو عبد الله بن ماجه القزويني ت ٢٧٣هـ) وصنّف كل منهم كتابًا في السنن؛ لتكتمل منظومة ما عُرف بعد ذلك باسم: الكتب الستة. وهنا يقول العلماء: إن هذه الكتب التسعة (الموطأ، المسند، الصحيحان، السنن الأربعة، مسند الدارمي) قد حوت عامة ما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### تتابع واستمرار

تتابعت الجهود في القرن الرابع الهجري؛ حتى لا يبقى شيء مفقودًا غير مدوّن؛ فجمع أبو بكر بن خزيمة (ت ٣١١هـ) صحيح ابن خزيمة، ثم ابن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـ) صحيح ابن حبان؛ وقد فُقد صحيح ابن خزيمة ولم يُوجد منه سوى قدر رُبعه، أما كتاب ابن حبان فقد نزل عن منزلة الصحيحين

كما ظهرت كتاباتهم في علوم الحديث؛ كالتراجم والعلل والمصطلح؛ والتي شكَّلت حوائط صد قوية أمام محاولات العث والإدراج في السُّنَّة. وكذلك أفردوا الأحاديث الموضوعة والمكذوبة في مصنَّفات خاصة؛ ولعل أبرزها: الموضوعات لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، وتبعه في ذلك كثيرون؛ كالسيوطي والشوكاني، وغيرهما.



### جهود لا تُنكر

كانت عامة الجهود بعد ذلك عبارة عن شرح وتعليق وتنقيح، وترتيب واستدراك، وجمع واستخراج واختصار على الكتب السابقة؛ ونشير إلى أبرز هذه الجهود كالتالي:

- ١- جامع الأصول: أبو السعادات ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، جمع فيه أحاديث الكتب الستة بعد حذف أسانيدھا وإعادة ترتيبھا، علماً بأنه اعتبر موطأ مالك سادسها مكان سنن ابن ماجه.
- ٢- جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن: أبو الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، أراد فيه جمع مسند أحمد مع الكتب الستة، بإضافة معجم الطبراني الكبير ومسند البزار ومسند أبي يعلى الموصلي؛ ورغم أنه قطع فيه شوطاً كبيراً، إلا أنه لم يُتمه بسبب فقْد بصره.
- ٣- جمع الجوامع أو الجامع الكبير: أبو الفضل السيوطي (ت ٩١١هـ)، جمع فيه مؤلفه كل ما وقف عليه من الحديث النبوي الشريف، وقد بلغ حوالي مائة ألف حديث؛ قسمها إلى قسمين:

- الأقوال: ورثه على حروف المعجم.  
- الأفعال: ورثه على مسانيد الصحابة.  
وقد قام باختصاره في الجامع الصغير، ثم كتب زيادات منفصلة، جمعهما يوسف بن إسماعيل النهائي (ت ١٣٥٠هـ) في كتاب الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير؛ وهو الذي قام ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ) بتقسيمه إلى صحيح الجامع (٨٢٠٢ حديثاً)، وضعيف الجامع (٦٤٥٠ حديثاً).

٤- معالم السنة النبوية: صالح الشامي: جمع فيه أحاديث أربعة عشر كتاباً: (الكتب التسعة، صحيحا ابن خزيمة وابن حبان، مستدرک الحاكم، سنن البيهقي، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي)؛ فنتج عن ذلك الجمع: ١١٤١٩٤ حديثاً، وبحدف المكرر ٢٨٤٣٠ حديثاً، ثم قام بتنقيحها اعتماداً على محققي الكتب المذكورة؛ فأخرج ٣٩٢١ حديثاً صحيحاً، منها في الصحيحين ٢١٣١ (حوالي ٥٥% من جملة الناتج). ولئلا يُطرح إشكال زيادة أحاديث الصحيحين عن العدد المذكور.. نوَّضح أن القائمين على المشروع قد ضمُّوا كل الأحاديث المكررة إلى بعضها، حتى لو تعدد الصحابة الرواة لنفس الحديث. وبهذا تظهر لنا نبذة يسيرة عن جهود العلماء على مر العصور والدهور لأجل الحفاظ على سُنَّة النبي -عليه الصلاة والسلام-، ونشرها بين العامَّة والخاصَّة؛ كلُّ بحسب قُدراته وإمكاناته. والله من وراء القصد.



## الشيخ نجيب المطيعي وصفحات مجهولة من حياته

الشيخ محمد نجيب المطيعي (١٣٣٤ - ١٤٠٦ هـ) (١٩١٥ - ١٩٨٥ م) واحد من العلماء المعاصرين الذين نفع الله بهم كثيراً ، فقد ضرب بسهم وافر في مجالات عدة جمعت بين العلم والعمل ، فهو الداعية الفقيه المفسر المحدث ، الصاعد بالحق الساعي في خدمة بلاده والذود عنها .

ففي الفقه هو صاحب تكملة المجموع شرح المهذب للشيرازي في الفقه الشافعي ، وهو الشرح الذي بدأه الإمام النووي رحمه الله ، فتوفي قبل أن يتمه ، فشرع في تكملة تقي الدين السبكي رحمه الله ، فمات دون أن يتمه أيضاً ، فأكملة الشيخ المطيعي ، وطبع كاملاً في عشرين مجلداً . وفي التفسير حقق الشيخ خمسة مجلدات من تفسير صديق حسن خان المسمى فتح البيان في مقاصد القرآن ، وفي الحديث له كتاب بعنوان : ( صلة السنة بالقرآن ) ، كما نشرت



الشيخ: عبد الآخر حمّاد

كانت تسمى (القطيعة)، ولكن أحد أبنائها وهو الشيخ محمد بخيت المطيعي المالكي ثم الحنفي ( ١٢٧١- ١٣٥٤هـ) (١٨٥٤-١٩٣٥ م)، وكان مفتياً للديار المصرية - قد استطاع أن يغير اسمها، فسمها (المطيعية)، وانتسب إليها. والظاهر أنه كره اسم القطيعة لما فيه من معنى القطع والهجر، فغير اسمها جرياً على سنة النبي صلى الله عليه وسلم في تغيير الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة.



وقد كنت قرأت في موقع معجم البابطين للشعراء العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين ، أن الشيخ محمد نجيب المطيعي ، ولد ب(الطوَّايَّة ) ، وذلك نقلاً عن حوار أجراه أحد الباحثين مع ابن الشيخ المطيعي رحمه الله . والطوايية هي قرية من قرى أسيوط أيضاً ، كانت تتبع مركز أنوب ، وهي الآن تابعة لمركز الفتح . وقد وجدت الشيخ رحمه الله قد انتسب إلى الطوايية في تقديمه لرسالة له بعنوان ( أحكام التصوير في الإسلام ) ، وإن كان قد انتسب للمطيعية أيضاً ، حيث ذيل مقدمته لتلك الرسالة باسم : محمد نجيب المطيعي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن بخيت المطيعي الطوايي . وقد بقيت مدة لا أجد تفسيراً لذلك الأمر ، إلى أن يسر الله لي التواصل مع أحد أبنائه ، وهو الأستاذ الدكتور عاطف محمد نجيب المطيعي الأستاذ بجامعة حلوان ، ومن خلال التواصل معه عرفت أكثر من العلة التي كنت أطلبها ، بل تكشفت لي حقائق وأسرار في حياة الشيخ

له مجلة الأزهر في سبعينيات القرن الماضي سلسلة مقالات في الدفاع عن السنة النبوية بعنوان: «البخاري المفترى عليه»، وكان له باب ثابت في مجلة الاعتصام بعنوان: «ليس حديثاً وليس صحيحاً». وفي مجال الافتاء ظل رحمه الله مدة طويلة يرد على أسئلة المستمعين في برنامج بريد الإسلام بإذاعة القرآن الكريم . كما عمل في أخريات حياته أستاذاً للحديث ورئيساً لقسم السنة في جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان ، وفي تلك الفترة أصدر كتاباً بعنوان: ( حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة )، وفيه يرد على فكر المدعو محمود طه ، وهو رجل ضالّ مضلّ ، كان قد ظهر في تلك الفترة في السودان ، يزعم أنه أتى برسالة جديدة تقوم على الاعتراف فقط بالقرآن المكي ، ونسخ القرآن المدني ، بما فيه من أحكام وتشريعات لا تصلح في نظره لأهل القرن العشرين.

كانت للشيخ في أواخر حياته مواقف قوية ضد التطبيع مع العدو الصهيوني ، وذلك بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر ودولة اليهود في فلسطين . وكان قد انتسب في شبابه إلى مجموعة فدائية كانت تتعقب اليهود الذين عرفوا بمواقفهم العدائية القتالية ضد العرب والمسلمين.

وفي الجانب العملي كان له رحمه الله مواقف مشهودة منها مشاركته في بواكير شبابه في مواجهة المنظمات الصهيونية كما سيأتي ، ومنها مشاركته في المقاومة الشعبية إبان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م ، كما كانت له في أواخر حياته مواقف قوية ضد التطبيع مع العدو الصهيوني ، وذلك بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر ودولة اليهود في فلسطين . والشيخ رحمه الله - كما هو واضح - ينتسب إلى المطيعة وهي بلدة تابعة لمركز ومحافظة أسيوط تقع جنوبي أسيوط على الجانب الغربي من النيل . وقد

المطيعي رحمه الله فحرصت على تسجيلها ونشرها بعد استئذان مصدرها وهو الدكتور عاطف حفظه الله.

المشايخ ، ثم استمر يعلم نفسه دون أن ينتسب إلى المعاهد الأزهرية ولا حتى المدارس العامة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة وعاش بها منشغلاً بالعلم والتدريس والكتابة .

ولما شب عن الطوق بدأ في ممارسة الدعوة إلى الله فكان يخطب الجمعة في مساجد الإسكندرية وهو دون التاسعة عشرة . كما أنه كان أيضاً مهموماً بقضايا بلاده بل الأمة العربية والإسلامية كلها ، حتى إنه انتسب إلى مجموعة فدائية كانت تحاول تعقب اليهود الذين عرفوا بمواقفهم العدائية ضد العرب والمسلمين ، وقد كلفته تلك المجموعة في أواخر الثلاثينات من القرن الماضي بقتل أحد الصهاينة المقيمين بالإسكندرية واسمه ( روزنتال ) . وقد كان هذا الشخص عضواً بل رئيساً لفرع منظمة « أرجون زفاي ليومي » ، وهي منظمة عنصرية إرهابية معروفة ارتكبت العديد من المجازر ضد

العرب في فلسطين . وبالفعل استطاع الشيخ الوصول إلى ذلك الصهيوني ، حيث علم أن ذلك اليهودي يبحث عن شخص يُعَلِّمه اللغة العربية ، فذهب إليه بحجة تعليمه العربية ، ثم استطاع قتله في بيته .

وبعد مقتل ذلك الصهيوني صدر أمر بالقبض على الشيخ ، فأخذ القلم السياسي يبحث عنه ، وكذلك صار أتباع تلك المنظمة الصهيونية يبحثون عنه أيضاً للانتقام منه ، فهرب من

الإسكندرية متجولاً في قرى الوجه البحري وكفورهِ . ومن أجل التغطية على السبب الحقيقي لهروبه كان يدّعي أنه كان نصرانياً فأسلم ، وأن أباه هو نخلة باشا المطيعي ، الذي كان من الشخصيات القبطية

”  
ولما شب عن الطوق بدأ في  
ممارسة الدعوة إلى الله فكان  
يخطب الجمعة في مساجد  
الإسكندرية وهو دون  
التاسعة عشرة .  
“

فقد ذكر لي أن الشيخ محمد نجيب المطيعي أصله من بلدة المطيعة التي سبقت الإشارة إليها ، من عائلة تسمى ( بيت الديب ) . وإلى تلك العائلة كان ينتسب أيضاً المفتي الشيخ محمد بخيت المطيعي الذي سلفت الإشارة إليه . ولذلك وجدت في بعض كتابات الشيخ محمد نجيب أنه إذا نقل عن الشيخ بخيت

يقول : قال جدنا ، فهو تقريباً عم جده .

ومن أهم ما عرفته من الدكتور عاطف أن الاسم الذي اشتهر به والده ليس اسمه الحقيقي وإنما هو اسم تسمى به لظروف يأتي ذكرها بعد قليل ، وأما اسمه الحقيقي فهو : محمود إبراهيم عبد الرحمن أحمد بخيت .

وأن الشيخ رحمه الله وإن كان مطيعياً إلا أنه ولد في قرية الطوايبة السابق الإشارة إليها ، وسبب ذلك أن أحد أجداده كان قد نزع من المطيعة إلى

الطوايبة لأنه كان مطلوباً في حادثة قتل . وفي تلك القرية ولد الشيخ رحمه الله ، ثم ارتحل به أبوه وهو صغير إلى الإسكندرية ، وبها بدأ يتلقى علوم اللغة والفقه والعقيدة والأصول على يد بعض





الزنانة ، وسمح له بزيارة كل أسبوع ، فلما زاره أهله أخبرهم بما حدث معه ، وأنه ما دام سره قد انكشف فسيخبرهم به بعد خروجه . وبالفعل حكى لهم بعد خروجه في عام ١٩٦٩ هذه التفاصيل عن حياته ، ثم عرفهم ببعض أقاربه من أهل الصعيد . ثم ظل الشيخ يواصل سعيه في نشر العلم والصدع بالحق إلى أن توفاه الله تعالى بالمملكة السعودية سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ، ودفن ببقية المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . رحم الله الشيخ المطيعي وغفر له ولسائر علماء المسلمين .



المشهورة في ذلك الوقت وقد عين وزيراً أكثر من مرة في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي ، وأنه من أجل ذلك يخشى على حياته ، فأواه بعض أعيان تلك القرى من المسلمين وتعاطفوا معه ، حتى إنه استطاع أن يستخرج أوراقاً باسم منتحل اختاره لنفسه وهو : محمد نجيب إبراهيم المطيعي ، وبعد مدة استطاع بعض رفاقه إنهاء قضية مقتل اليهودي ، وذلك بأن استغلوا مصرع شخص في حادثة مشابهة فعمدوا إلى ذلك القتل فوضعوا في ملابسه أوراقاً تثبت أن اسمه محمود إبراهيم عبد الرحمن أحمد بخيت ، وبذلك سقطت القضية ، وكُف البحث عن المتهم لوفاته .



ومنذ ذلك الوقت عاش الشيخ باسم محمد نجيب المطيعي ، وكتب كتبه وتحقيقاته التي أشرنا إليها بهذا الاسم ، ولم يكن يذكر لأحد شيئاً عن تاريخه القديم ، ولا حتى لأبنائه ، الذين كانوا كثيراً ما يسألونه عن أهله وأقاربه فيقول لهم إنه (مقطوع من شجرة) . إلى أن اعتقل في عام ١٩٦٨ م ، ويبدو أنه عند التحقيق معه لم يظهر تجاوباً مع المحققين ، فحَقنوه بحقنة جعلته شبه مغيب ، وتحت تأثيرها حكى قصته كلها ، فسجلوا ذلك ، ورفعوا به تقريراً إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، فكان من العجائب أيضاً أن عبد الناصر قال لهم : نعم أنا أعرف هذا الرجل ، فقد كان يخرج معنا في مظاهرات ضد الإنجليز بالإسكندرية ، وأوصاهم بإكرامه ، فوضعوه في مستشفى السجن بدلاً من

# ظاهرة إسقاط القدوات



د. الحسن بن علي الكتاني

**برزت** في السنوات الأخيرة ظاهرة خطيرة في بلاد المسلمين، وهذه الظاهرة استشرت بقوة في وسائل الإعلام، حتى إنها أدت لانتكاسات وضعف في الاستقامة والتدين عند فئات من الناس. هذه الظاهرة هي ظاهر الطعن والإسقاط في القدوات التي كان الناس يحترمونها، ويقتدون بها، ويعظمونها، من العلماء وقادة الإسلام، قديما وحديثا.

**وفي الواقع فإن هذه الظاهرة ليست شيئا جديدا، والمسلم عندما يشترك في الوقعة في العلماء، والأئمة، والقدوات؛ فإنه-بفعلته تلك-يحشر نفسه في خندق واحد مع الأعداء الأصليين الذين يحاولون الطعن في الدين بهدم وتسوية قممه ورموزه وأنجاده، وهو مسلك قديم بدأه رأس النفاق عبد الله بن أبي سلول، عندما طعن في الطاهرة المبرأة العفيفة (أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها وعن أبيها-في حادثة الإفك)، وعلى الأثر سار الروافض والخوارج، الذين طعن كل فريق منهم في جماعة من الصحابة الكرام، لكن كانت قاصمة الظهر هي الطعن في الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، ثم تعدى الأمر بالسب والتكفير لخير خلق الله بعد رسله وأنبيائه؛ صحابة الرسول-صلى الله عليه وسلم.**

لكن الأمة تجاوزت تلك المرحلة، وغلب منهج أهل السنة والجماعة في الأمة الإسلامية بشكل عام، فأصبح الطاعنون في الصحابة مجرد فرق هامشية، لا تأثير لها على جمهور الأمة. وفي العصر الحديث ظهر المستشرقون وأذئابهم من بني جلدتنا وهدفهم الطعن في تراث الأمة وتشويه أوعية العلم

مثل أبي هريرة-رضي الله عنه-

لكن الجديد في هذه الظاهرة اليوم، هو هذه الثورة الإعلامية التي دخلت كل بيت، وعمت كل أمة، فبرزت من جديد مقالات الفرق الضالة، كما أن الزنادقة والمنافقين رفعوا رؤوسهم، وأمنوا العقوبة بتعطيل الشريعة، والتمكين لأناس لا خلاق لهم في أغلب بلاد المسلمين، فسحوا المجال لأمثال هؤلاء لبيثوا سمومهم بين شباب المسلمين، فبدأت الظاهرة تظهر من جديد. فخرج علينا من يتحدث عن الفتنة بين الصحابة، ويطعن في فريق وينال منه ومن رموزه، وظهر من يدعو لإعادة النظر في تعريف الصحابي، واستسهال الطعن فيمن لا يعجبه منهم، حتى فقد الكثير من الناس هيبة الصحبة، واستسهلوا الخوض فيهم.

وأحياناً قوم فرقاً إسلامية كادت تندثر، فظهر بيننا من يطعن في شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، وتلاميذه، ويزعم أنه لم يكن بتلك المكانة التي رفعه الناس إليها، وأنه لم يحي سنة ولا كان له فضل. ومع توالي المحن على العاملين للإسلام اليوم ظهر الطعن في العلماء العاملين، والمجاهدين الصادقين. بل قام السفهاء بالتهكم بالعلماء بشكل عام، وسخروا من الفقهاء والمشايخ، عبر مسلسلات سخيفة، ونكت تافهة داعرة. وسخروا من رموز الإسلام كلها، كاللحية والحجاب والعبادات وغيرها.

وبالمقابل ملأ الفراغ عند الشباب رموز سخيفة تافهة لا قيمة لها، من ممثلين، ومغنين، ولاعبي كرة،



وكم رأينا من شباب كانوا من الأخيار فلما فتحو آذانهم لهؤلاء تغيروا حتى انسلخوا من الدين، فضاع

دينهم وديناهم، والعياذ بالله.

ومحطمو القدوات لا يضررون إلا أنفسهم، وهم يستجلبون لها-بفعلتهم الشنيعة-أخبث الأوصاف (بئس الاسمُ الفُسوقُ بَعْدَ الإِيْمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [الحجرات: ١١]، وهم شرار الخلق بشهادة النبي- صلى الله عليه وسلم-فَعَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةَ زَيْدٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ » قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: « الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذَكَرَ اللَّهُ، وَإِنَّ شِرَارَ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمَائِمِ، الْمُفْرَقُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ، الْبَاغُونَ الْبِرَاءَ الْعَنَتِ ) .

فكل من أراد الطعن في الإسلام؛ طعن في رموزه، وقدواته، وحملة شريعته، وفضلائه، والذابين عن حياضه، قال الإمام علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) - رحمه الله - في عقيدته:

( وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة ويدعو له ويترحم عليه فارح خيره واعلم أنه بريء من البدع، وإذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ويذكر محاسنه وينشرها فاعلم أن رواء ذلك خيرا إن شاء الله، وإذا رأيت الرجل يعتمد من أهل البصرة على أيوب السخيتاني وابن عون ويونس والتيمي ويحبهم ويكثر ذكرهم والاقتراء بهم فارح خيره، ثم من بعد هؤلاء حماد بن سلمة ومعاذ بن معاذ ووهب بن جرير، فإن هؤلاء محنة أهل البدع، وإذا رأيت الرجل من أهل الكوفة يعتمد على طلحة بن مصرف وابن ابجر وابن حيان التيمي ومالك بن مغول وسفيان بن سعيد الثوري وزايدة فارجه، ومن بعدهم عبد الله بن إدريس ومحمد بن عبيد وابن أبي عتبة والمحاربي فارجه ) ،

وقال الإمام يحيى بن سعيد-رحمه الله-: (إذا رأيت الرجل يتكلم في حماد بن سلمة، وعكرمة مولى ابن عباس؛ فاتهمه على الإسلام ) ، وقال الإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ) - رحمه الله: ( إذا رأيت الرجل ينال من حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام ) ، وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي (ت٢٩٨هـ) - رحمه الله :- ( إذا رأيت حجازيا يحب مالك بن أنس فهو

صاحب سنه وفي حديث محمد بن مسلم إذا رأيت  
المديني يحب مالكا .

ومن ذلك: حرص الأبواق المنافقة على الطعن  
في المجددين الذين بعثوا وأحيوا سنن الإسلام المندرسية  
أمثال: عمر بن عبد العزيز، والشافعي، وصلاح الدين  
الأيوبي، ونور الدين محمود، وشيخ الإسلام ابن تيمية،  
وغيرهم من المجددين إلى يومنا هذا.

من ذلك: تتبع عثرات العلماء والقداوات، وتصيد زلاتهم  
وأخطائهم، والفرح بها، وإذاعتها بين الناس، واغتنامهم  
في التأييم والتحطيم وإسقاط الجاه والمنزلة، فعمر بن  
عبد العزيز ضرب خبيب بن الزبير حتى قتله، ومالك  
كان يأخذ الهدايا والعطايا من الخليفة العباسي أبي جعفر  
المنصور، وأبو حنيفة أخطأ في العقيدة في مسائل الإيمان  
والقرآن، وصلاح الدين خدم عند الفاطميين الزنادقة،  
وابن تيمية يقول بفناء النار، وأبو ثور يجيز الزواج من  
المجوسية، والنووي وابن حجر أخطأ في الأسماء والصفات،  
وهو باب لا ينتهي، ومن تتبع الزلات والعثرات؛ أوشك أن  
يزل زلة لا نجا بعدها.

وما يحدث هذه الأيام تحديداً من الطعن على  
الإمام البخاري وكتابه «الجامع الصحيح» الذي لم يكتب  
مثله في الإسلام، والذي أجمع المسلمون على كونه  
أصح كتاب على وجه الأرض بعد كتاب الله- عز وجل-،  
والمحاولات المحمومة من الشخصيات المشبوهة المطعون  
في دينهم وعقيدتهم؛ لتشكيك الناس في صحيح البخاري،  
وهم يتبحرون في جراءة فجة عن كون هدفهم الحقيقي  
من هذه الحملات؛ هو صرف المسلمين عن الحديث  
النبوي بالكلية.

وهناك من يطعن في رموز كبيرة بحجة الدفاع عن السنة  
والحق، والدعوة لمنهج السلف. وهذه فتنة أخطر من  
سابقتها، لأنها تهدم من الداخل، وتشعر فاعلها بأنه على  
حق وخير. كالفتنة التي ظهرت مؤخراً بالطعن في الإمام  
أبي حنيفة رحمه الله.

وقد رأيت بعض الطيبين ينتقد علماء كبارا استقر الأمر  
عند أهل السنة على كونهم علماء مصلحين، فيأتي من  
ينتقدهم بحق لكنه بأسلوب سيئ يؤدي إلى إسقاطهم،  
فينتج عنه إسقاط منهج أهل السنة والجماعة كله عند

المبتدئين. وقد شهدت ذلك بنفسني عند كثير من الشباب.  
ولعلاج هذه الظاهرة الخطيرة ينبغي أخذ  
الخطوات التالية:

١. تحصين المسلمين ابتداء بالترهيب من النيل من  
رموز الإسلام، وذكر محاسنهم وفضائلهم، وخاصة  
أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والسلف  
الصالح ومن تبعهم بإحسان إلى اليوم.

٢. الرد على شبهات الطاعنين علمياً وتفنيدي مقالاتهم.

٣. الهجوم المضاد بالتحذير من رؤوس الباطل من  
العلمانيين والزنادقة والمنافقين وغيرهم من أعداء  
الدين، ومن المبتدعة والمنحرفين.

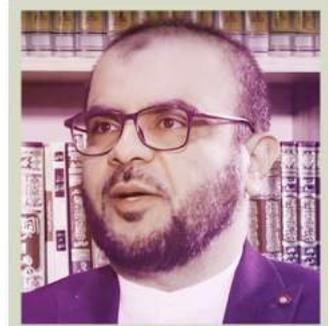
٤. اتخاذ الأسلوب اللين في محاوره من أخطأ من المسلمين،  
وترك وسائل التعنيف والتغليظ والشتم والسب.

٥. عندما تنتقد أخطاء العلماء والعاملين للدين فيمكن  
ذلك بالمزاوجة بين حسناتهم وفضائلهم، والتماس الأعدار  
لهم، حتى لا ينهار احترام العلماء والفضلاء في أعين  
المتلقين. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ  
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾  
[النحل: ١٢٥].

وكانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العملية أبلغ  
مثال في سمو اللغة وراقي التعبير؛ فعن عائشة - رضي  
الله عنها - قالت: ( لم يكن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا  
يجزي بالسيئة مثلاً، ولكن يعفو ويصفح ). وعن عبد  
الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: إن رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً،  
وقال: « إن من أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً » .

يقول الإمام المزني: سَمِعَني الشافعي يوماً وأنا  
أقول: فلان كذاب، فقال لي: يا إبراهيم، اكسُ ألفاظك  
أحسنها، ولا تقل: كذاب، ولكن قل: حديثه ليس بشيءٍ .  
وقال القاضي أبو الوليد الباجي: «ويجتنب إظهار  
العجب من كلام خصمه، والتشنيع عليه في جداله، فإنَّ  
ذلك يفعله الضعفاء، ومن لا إنصاف عنده» .

وأخيراً، أسأل الله أن يستخدمنا لطاعته ويرد كيد  
الكائدين على نحورهم. والحمد لله رب العالمين، وصلى  
الله على نبينا محمد وآله وسلم.



د عادل الشخاني

## منهج أهل السنة والجماعة في السلوك وتزكية النفس

تزكية النفس البشرية وتنقيتها من شوائب الشرك والنفاق والمعاصي والأمراض والأدواء الباطنة والظاهرة؛ من أعظم مهمات الرسل الكرام وتمام رعايتهم لمصالح العباد، ولذا فقد امتنَّ الله تعالى على هذه الأمة ببعث نبي الرحمة صلوات الله تعالى وسلامه عليه بقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٤].

وقد دعا نبي الله إبراهيم عليه السلام ربه تبارك وتعالى أن يبعث في ذريته نبياً يزكيهم ويطهرهم من أدران الشرك والكفر والمعاصي... ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٢٩].

وأول مقامات التزكية: تزكية النفس البشرية بالتوحيد من أدران الشرك والكفر، والتزكية بهذا المعنى وفي هذا المقام أول ركنٍ من أركان هذا الدين الحنيف، فإن حقيقة شهادة التوحيد هي تخليص النفس والقلب مما سوى الله تعالى من الآلهة والأرباب وكل ما يُعبدُ من دون الله، ثم يأتي بعد ذلك مقام تزكية النفس عن أدران المعاصي والذنوب وتنقيتها من أدناس الخصال والطباع اللئيمة والسيئة والنزغات الشيطانية ووساوس

النفس، لكي تكون النفوس جاهزةً لاستقبال النور الإلهي والهداية الربانية وتتحلى بأجمل الصفات وأرقى المقامات وأحسن الخصال وأحمد الخصائص وأرفع الخلق وأفضل الآداب.

وقد أدرك أهل السنة والجماعة أهمية تزكية النفس، وعلموا أنها أساس العقيدة والشريعة، فعملوا على ذلك قولاً وعملاً تأسياً برسول الهدى ومُعلم التزكية على المنهج الرباني المرسوم في الكتاب والسنة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي عليه أصحابه الكرام الذين صاروا بعد ذلك مصابيح الهدى ونجوم السماء في السلوك والأدب ومكارم الأخلاق وفضائل الأعمال وجميل الخصال، حتى صاروا على يد مَنْ وصفه الله تعالى بقوله: (وإنك لعلى خُلِقَ عظيم) أشباه الأنبياء وصفوة الخلق بعد الرسل، ويصدق فيهم قول الشاعر الكُردي (محوي) حيث يقول: لقد انعكس النور والهدي النبوي وأخلاقه صلى الله عليه وسلم في خلق وتصرفات الصحابة حتى صار مَنْ يدخل المدينة المنورة من الغرباء يستغرب ويقول (ما هذه المدينة النبوية المليئة بالأنبياء). فقد كانوا بحق نماذج رائدة ومثلاً أعلى من الرقي البشري والنفوس الزكية والأخلاق والآداب السامية.

ولقد أحسن الإمام العارف عماد الكريم الواسطي -رحمه الله- (ت ٧١١) عندما وصفهم بقوله: (الحمد لله الذي اختار مِنْ خلقه صفوةً أرادهم لِقُرْبِهِ فأرادوه، وأحبهم فأحبوه، فقهرُوا بذلك النُّورِ وساوسَ النَّفْسِ ورُعُونَاتِهَا، ونزغات الشياطين وإراداتها. أقامهم بين يديه في مقام العبودية، وصفَّهم في مصاف الخدمة، فهُم بين يديه أبداً يتنعمون بأنوار مشاهدته، ووظائف خدمته، يعبدونه كأنهم يرونه، ويتلَّون كلامه كأنهم يسمعون منه، ويقْتَفُونَ آثار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، ويعكفون على استماع سُنَّتِهِ بقلوبٍ حاضرة، وأسماعٍ واعية، ويستعينون بمولاهم على القيام بمأمورات ربِّهم، والانتهاة بمناهيه. فلم تزل

هذه طريقة تسير بهم، وكان منتهاها أن طهر الله عزَّ وجلَّ فيها بواطنهم عن المحرّمات والمكروهات، وكساهم كسوة إتباع المأمورات والطاعات، وكاشف أسرارهم بحقائق المشاهدات. وكان إمامهم في هذه الطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث إليهم بالرحمة العامة والكتاب المنزَّل، الذي فيه موعظة من ربهم وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين. فسبحان مَنْ وفقهم بفضله لتحقيق المحاسبة في ظواهرهم وإتقان المراقبة في بواطنهم، فصقَّاهم له باطنًا وظاهرًا، فصلحوا لِقُرْبِهِ، ومناجاة حضرته: ﴿أَوْلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ الْآلِ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [قواعد في السلوك: ٢٤-٢٥].



وكما أن منهج أهل السنة والجماعة واضح وضوح الشمس في رابعة النهار في العقيدة والنظر والاستدلال وفي المسائل العلمية والعملية؛ فإن منهجهم كذلك أيضًا في مسألة السلوك وتزكية النفس، وطريقتهم في ذلك واضحة لا لبس فيها ولا غموض، فهي واضحة المعالم راسخة الأسس سليمة الوسائل، ظاهرة الدلائل، مُبَيِّنَةٌ لطرق غيرهم وسلوك مسالك مَنْ حادوا عن الطريقة المحمدية والسنة النبوية وشعار وديار الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، بل لهم قصب السبق والقدر المَعْلَى في بيان ذلك تطبيقًا وتصنيفًا. وَمَنْ سبر أغوار مصنفات أهل السنة والجماعة يرى ذلك عيانًا، فسيرة القوم وأخبارهم شاهدة على ذلك،

ومن نظر فيها يرى أروع صور الأخلاق وأجمل الصفحات في رُقي السلوك الإنساني وطهارة النفس وتزكيتها بالفضائل والآداب العالية والمكارم الفاضلة ومعرفتهم بكوامن ومكايد النفوس وانتصارهم على شهوات النفس وشبهاتها.

وما أوجنا في هذه الأيام إلى العودة إلى منهج السلف الصالح من أهل السنة والجماعة في سلوك الطريقة الصحيحة والالتزام بالمنهج الصحيح في تزكية النفس وتربيتها، وسلوك المسلك الرباني والهدى النبوي في التأدب بفضائل الآداب وجميل الأخلاق وكريم السجايا، حتى يكون اتباعنا اتباعاً صحيحاً. والالتزام الصحيح بمنهج السلف هو الالتزام بمنهجهم في العقيدة والنظر والاستدلال في سائر المسائل العلمية والعملية والسلوك والزهد وسائر أمور العبادات ومسائل العبودية وتحقيقها لله الواحد الأحد سبحانه وتعالى.

من أعظم مهمات الرسل الكرام تزكية النفس البشرية وتنقيتها من شوائب الشرك والنفاق والمعاصي والأمراض والأدواء الباطنة والظاهرة،

ومسلك الاتباع والالتزام بالطريقة الشرعية في جميع الأمور العلمية والعملية وما يتعلق بهما منهج رباني أسس بُنيانه ربنا تبارك وتعالى بقوله:

هُرُّوَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴿١٠٠﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وأولى الناس بالاتباع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصحابه رضوان الله عليهم، وهذا ما

فهمه خيار الصحابة والتابعين من بعدهم، قال ابن مسعود: (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّياً فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكْلُفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا، وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ) [الجامع لابن عبد البر: ١١٩/٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الْمَعْلَمُ الْمَشْرُوعُ وَالنُّسْكَ الْمَشْرُوعُ مَأْخُودٌ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَمَنْ بَنَى الْكَلَامَ فِي الْعِلْمِ - الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ - عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ السَّابِقِينَ؛ فَقَدْ أَصَابَ طَرِيقَ النَّبُوءَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ بَنَى الْإِرَادَةَ وَالْعِبَادَةَ وَالسَّمْعَ الْمُتَعَلِّقَ بِأَصُولِ الْأَعْمَالِ وَفُرُوعِهَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ وَالْهُدَى الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ؛ فَقَدْ أَصَابَ طَرِيقَ النَّبُوءَةِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ أُمَّةِ الْهُدَى) [مجموع الفتاوى: ٣٦٢/١٠].

وقد فطن أمة أهل السنة إلى ذلك الأصل العظيم وهو الاتباع والمتابعة جيلاً بعد جيل وكابراً عن كابر حتى تصل إلى سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم، فأهل السنة بحمد الله سلسلتهم متصلة وركبهم متواصل في جميع الأزمان والأعصار والأمصار إلى ركب النجباء المهاجرين والأنصار الذين أخذوا عن النبي المختار ولم يلتفتوا إلى اليمين واليسار، وما أصدق قول ابن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتُم) [أبو خيثمة زهير بن حرب، كتاب العلم، ص: ١٦].

وقال حذيفة رضي الله عنه: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً [الباعث لأبي شامة: ١٦].

وعلى هذا فإن منهج أهل السنة والجماعة في جميع المسائل العلمية والعملية والنظر والاستدلال

والأدب والسلوك مبني على الاتباع وسلوك الجادة والبعد عن البدع والمحدثات والأهواء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إنَّ السُّلُوكَ هو بالطَّرِيقِ التي أَمَرَ اللهُ بها ورسولُهُ من الاعتقاداتِ والعباداتِ والأخلاقِ، وهذا كُلُّهُ مُبَيَّنٌّ في الكتابِ والسُّنَّةِ، فَمَسَائِلُ السُّلُوكِ من جِنْسِ مَسَائِلِ العقائِدِ، كُلُّهَا منصوصَةٌ في الكتابِ والسُّنَّةِ) [فتاوى ابن تيمية: ٢٧٣/١٩-٢٧٤].

والناظر في معالم السلوك وتزكية النفس عند أهل السنة والجماعة يرى بوضوح أن من أهم هذه المعالم ما يأتي:

١- مصدر أهل السنة والجماعة في مسائل السلوك وتزكية النفس: الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة المبيّنة والمجّلية لأحكام القرآن الكريم، فالقرآن والسنة هما المصدران اللذان لا ثالث لهما في تلقي جميع مسائل السلوك والتعبّد والزهد وأعمال القلوب، وفيهما

الكفاية والغُنْيَة في باب التزكية وجميع أبواب الشريعة والدين.

٢- الوَسْطِيَّة سِمة بارزة ووصفٌ رباني امتن الله بها على هذه الأمة، فكما أن أهل السنة هم أهل الوسطية في جميع مسائل الدين فهم وَسَطٌ أيضًا في مسائل التزكية، وهم أهل الوسطية في جميع المسائل الدنيوية وكيفية التعامل مع زينة الحياة الدنيا ونعيمها.

٣- البُعد عن مسالك أهل البدع من الفلاسفة وغيرهم في إحداث المصطلحات والرسوم والرياضات التي لم ترد في الشرع الحنيف.

٤- المقام الأول والأخير عند أهل السنة والجماعة هو مقام العبودية والقيام بحقوقها، فلا مقامات ولا أحوال محدثة ولا إزامات تلزم النفس بها، ولا حدود إلا ما حدده الشرع ورسمه الكتاب والسنة.

٥- معالم الآداب والسلوك من الدين الذي أكمله الله تعالى وفصله في كتابه وبيّنه رسوله

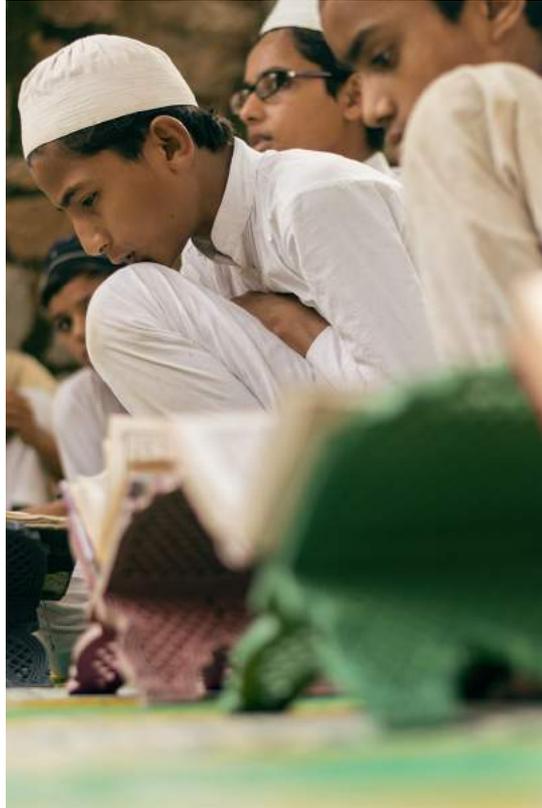
صلى الله عليه وسلم في سنّته، فأهل السنة ملتزمون في ذلك بنصوص الكتاب والسنة وموافقون لها نصًّا ومعنى، فلا يعرفون طريقةً في ذلك إلا طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سار عليها أصحابه من بعده والتابعون لهم بإحسان؛ فهم بريئون من كل الطرق والمناهج البدعية المستحدثة ولا يتقيدون بشيء من ذلك.

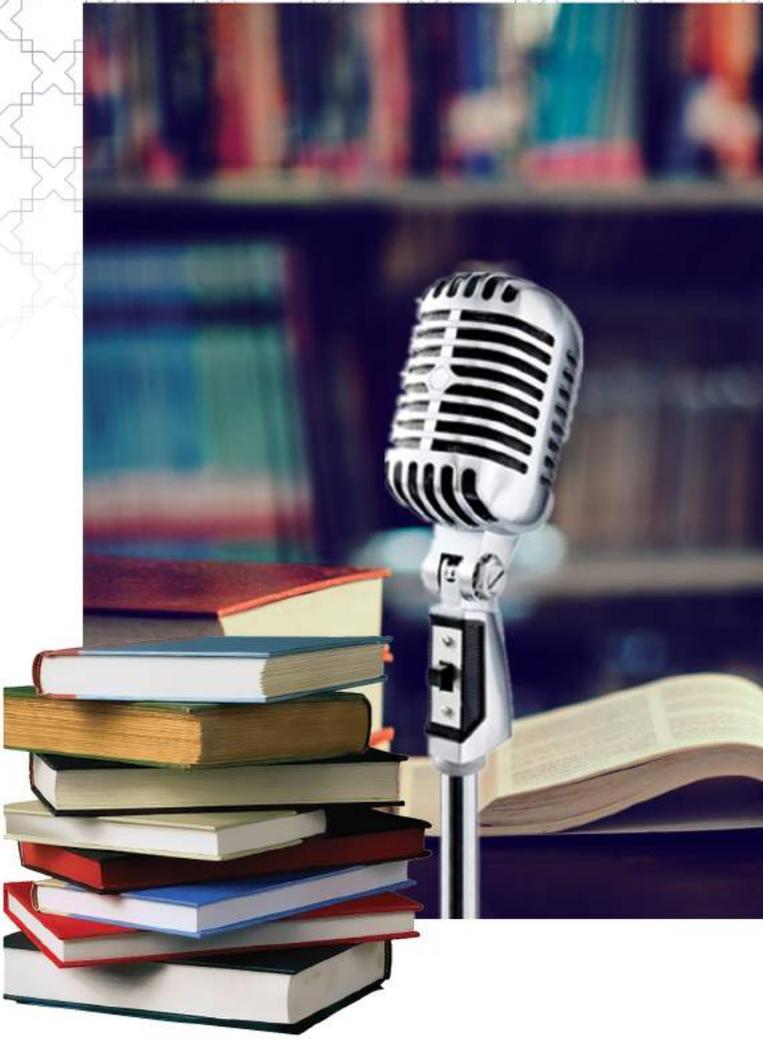
٦- وسائل التزكية ومقاصدها عند أهل السنة والجماعة

من الدين؛ فلا يلتفتون لغير ما جاء في الكتاب والسنة.

٧- المثالية الواقعية في الوصول إلى أشرف المقامات في تزكية النفس وعلو الهمة في الانتصار على الشهوات وضبطها بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ ولا مبالغة ولا تكلف.

هذه أهم معالم منهج أهل السنة والجماعة في السلوك وتزكية النفس. وسنذكر تباغًا بإذن الله تعالى مسائل السلوك وتزكية النفس على ضوء منهج أهل السنة والجماعة.





د. خالد بن فتحي الآغا

## التخصص الدعوي هل هو ضرورة؟

الإسلامي، وحسب الناظر في هذه العجالة أن يطالع الكتب التسعة والتسعين التي اشتمل عليها صحيح البخاري، فإنها برهان عملي على الشمول المُشار إليه.

ويمكن أن يُنتزَع من صفة الشمول وما انطوت عليه من صفتي الكمال والتكامل قَدْرُ الحاجة إلى تصور كلي لرسالة الإسلام، ومن ثَمَّ إلى معرفة أجزاء الكلي، ثم معرفة موضع الجزئي من الكلي، ومعرفة العلاقة بين الكل والجزء، فالسياسة في القاعدة الإسلامية -مثلاً- جزءٌ من التشريع الإسلامي، ومن لم يتصور رسالة الإسلام تصوراً كلياً لم يَصْفُ له تصور السياسة في الشرع الإسلامي، ومتى حصل له الأمران أمكنه معرفة موضعها من الشرع ومكانتها منه، ثم سهل عليه معرفة علاقة السياسة بتشريعات الإسلام الأخرى؛ علاقتها بالعقيدة، وعلاقتها بالعبادة،

لا شك أن البحث في التخصص الدعوي سواءً كان ضرورياً أم لا- يلزم الباحث الوقوف على أمورٍ عديدة لكل منها أثرٌ في تصور موضوع البحث والانتهاء إلى خلاصة جامعة فيه، على أن الغاية من البحث تُنبئ عن أهميته، لتعلقها بوظيفة الدعوة إلى الله تعالى، وحسب هذه الوظيفة قَدْرًا وخطراً أن تكون ميراث النبوة لخاتم الرسالات، وقد خوطبتُ بها الأمة كافةً، كلٌّ على قدر ما آتاه الله من العلم والفهم.

أول ما ينبغي اعتباره في هذا المقام: شمول الإسلام لكل مناحي الحياة، فالحياة في قواعد الإسلام وحدة واحدة لا تتجزأ، ولذا جمعت تشريعاته بين صفتي الكمال والتكامل، وباجتماع هذين الوصفين تظهر الحكمة والقيمة الجمالية في التشريع

وعلاقتها بالأخلاق، وعلاقتها بالتربية، وغير ذلك، ثم يمكنه بعد هذا أن يقف على أسرار من هذه العلاقات البينية على قدر ما آتاه الله من العلم والفهم، والله يؤتي فضله من يشاء سبحانه.

والأمر الثاني: أن الإسلام دينٌ يراعي التوافق بين السنن الدينية الشرعية والسنن الكونية القدريّة، فهو يراعي - لهذا السبب - وحدة الحياة، وكونها واحدة لا تتجزأ، وإن خيّلت أحمالها للإنسان غير ذلك أحياناً، كما يراعي طبيعة الاجتماع الإنساني وما يعتريه من نقص، وما يمر به من تطورٍ وتنوع في الحاجات، وحاجة الناس إلى أن يكمل بعضهم بعضاً، ومن ثم فإن قواعد وتشريعاته جاءت وافيةً بهذه المطالب، فكان لزاماً على منهج الدعوة إذن أن يراعي التوافق بين السُننِ، وأن يجري البحث في ضرورة التخصص في الدعوة وفق هذه القواعد والكليات، فالبحث في هذا الموضوع يشبه من وجه البحث في المراحل التي مرت بها العلوم التجريبية والإنسانية؛ حيث بدأت موسوعية، ثم انتقلت إلى التخصص، ثم تُلثت بالتخصص الدقيق الذي أنتج الانشطار المعرفي وتراكم العلم والمعرفة، وأنتج هذا كله ما يمكن تسميته بالتخصص القافل؛ لأنه حال بين المتخصص والقدرة على الإنتاج لانشغاله بالدقائق والتفاصيل. ومن قبلُ نعى الإمام الذهبي -رحمه الله- في كتابه (زغل العلم) على النحوي إذا أمعن في العربية وعري عن علم الكتاب والسنة، فإنه يبقى -كما قال- فارغاً بطلاً لعاباً. فما نحن فيه من هذا القبيل، وأقرب مثلٍ يُضرب لهذا مثلٌ من أهدى إليه ثوبٌ قد أحسن الصانع نقشه بأجمل الرسوم وأبهاها، فانشغل عن النظر إلى جماله بالتدقيق في غرزِهِ وطريقة عَقْدِها برهَةً من الزمن، ثم طواه فلم يرَ من محاسنه وجماله شيئاً، وقد سبق إلى تحذير الباحثين من هذا النهج الدكتور عبدالوهاب المسيري حين حذرهم من الذئب الهيجلي -نسبة إلى الفيلسوف الألماني جورج

هيغل- وهو نهج استقصائي يُغرق الباحث في تتبع الدقائق والتفاصيل وكل ما يتعلق بموضوع البحث إغراقاً يُعجزُ الباحث عن بلوغ الثمرة المطلوبة من البحث.

ارتباط الدعوة بالعلم والمعرفة كارتباطها بالحياة سواءً بسواء، وكما أن الحياة كلّ واحدة لا يتجزأ؛ فذلك دعوة الإسلام، ومن الضروري أن يكون الوعي بذلك حاضراً في منهج الدعوة، وإلا انتقل أثر الواقع إلى الدعوة نفسها، كما وقع في فصل الدين عن السياسة، وفصل النظرية عن التطبيق،

٢٢

**والمفترض في نهج الدعوة أن يكون قيماً على الواقع مقوماً له، وليس العكس، فالتخصص في الدعوة الذي يؤدي إلى ما أدى إليه التخصص القافل في العلم والمعرفة يفوت معه مقصود الدعوة.**

٢٢

والمفترض في نهج الدعوة أن يكون قيماً على الواقع مقوماً له، وليس العكس، فالتخصص في الدعوة الذي يؤدي إلى ما أدى إليه التخصص القافل في العلم والمعرفة يفوت معه مقصود الدعوة، لأنه يصبح أداةً للتشتيت لا الجمع، ووسيلةً لرد ما حقه أن يُقبل بحجة صدوره عن غير متخصص، بينما العبرة بمراعاة الأصول والقواعد التي تقتضيها صنعة العلم، ومراعاة التوافق الذي سبقت الإشارة إليه بين الكونيّ القدري والديني الشرعي.

يمكننا الاصطلاح على (التخصص العاقل) في مقابل (التخصص القافل)، والتخصص العاقل هو التخصص الذي يراعي موقعه من الكل، والعلاقات البينية بين مجال التخصص وبقية الأجزاء التي تشكل الصورة الكلية لرسالة الإسلام، مع تمكنه من المجال الذي

تخصص فيه، فالتخصص في نفسه مطلوبٌ، بل هو نتيجة حتمية لانشغال الإنسان وعكوفه على ما هُيئَ له من العلم أو العمل، بل هو داخل في القسمة الربانية المدلول عليها بقوله تعالى: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا}، وهي قسمة ضرورية لقيام بنيان المجتمع، فإن كانت اللام في قوله (ليتخذ) للعاقبة، ففي الآية إشارة إلى القسمة الكونية القدرية بما قسم الله تعالى بين عباده من المواهب والقدرات

بحيث يحتاج بعضهم إلى بعض

ويكمل بعضهم بعضًا، ويجوز أن

تكون اللام (للتعليل)، ففيه

توجيه إلى مراعاة مقتضى

ذلك باتخاذ الأسباب

المعينة على تحقيق

هذه القسمة التكاملية،

وقد قال النبي صلى

الله عليه وسلم: (من

يُرد الله به خيراً يفقهه

في الدين، وإنما أنا قاسم

والله يعطي)، فههنا معنيان:

الفقه في الدين، والمراد به

المعنى الأعم، وهو قوة الفهم عن

الله وعن رسوله بما يقذفه الله في قلب العبد

من نور الهداية والتوفيق، والاطلاع على قواعد

الشرع وكلياته ومعرفة حكمه وأسراره ومقاصده.

**والمعنى الثاني:** قسمة ميراث النبوة بين العباد، فإن

النبي صلى الله عليه وسلم مشكاة العلم، والله

يعطي للعبد من العلم والفهم ما يشاء.

وقد اجتمع الأمران في أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم، فحصل لهم من الفقه في الدين بما

خصهم الله تعالى من صحبة نبيه ومعاصرة التنزيل

ومشاهدة الأحوال، ومنهم من خُصَّ بمقامٍ أرفع

كما في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين»، كما حصلت لهم القسمة من ميراث النبوة؛ فكان أرواهم للحديث: أبو هريرة، وأقضاهم: عليٌّ، وأقرأهم: أبي بن كعب، وأعلمهم بالتأويل: ابنُ عباس، وبالحلال والحرام: معاذُ بن جبل، وبالفرائض: زيد، رضي الله عنهم.

التخصص القافل مُضِرُّ بالدعوة، سيان كان تخصص فردٍ أو جماعة، وهو التخصص المنغلق الذي يختزل النظر إلى الكل في موضوع تخصصه، فيجتزئ بمراعاته عن مراعاة ما سواه، ويهمل العلاقة بين موضوعه وبقية الموضوعات، وهذا يُؤلِّد قُصوراً

في التصور وضعفاً في الرأي

يُرى معه الخطأ صواباً،

ويعتقد الحجة فيما لا

حجة فيه، فإن كان في

جماعةٍ انضاف إلى ذلك

انتشارُ سمتِ التقليد

في الأتباع، ثم تغلب

سطوة الأتباع على

المتبوع، ثم لا يلبث أن

يستحيل المنهج المنغلق

دينًا يعسرُ على الجماعة

أو أحد أفرادها التراجع عنه،

ولذلك كانت البصيرة في نهج الدعوة

لازمةً من خطوتها الأولى، كما قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا

وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾، وهذه بصيرة منهجٍ تشمل التابع

والمتبوع.

ثم إن التخصص الدعوي القافل كالتخصص الجامعي

القافل؛ كلاهما وسيلةٌ للتعالم، وجنايةٌ على أدوات

ضرورية من العلم والمعرفة تغيب معها البصيرة

بالواقع، ويختلُّ معها إدراك القضايا الكبرى التي

تتعلق بمصير الأمة المسلمة، وشواهد الحال

كثيرة، ولا يتم الإصلاح على وجهه إلا بإصلاح



الأميرين معًا: منهج التعليم، ومنهج الدعوة إلى الله تعالى. وهذا المقام حريٌّ أن يُستفاد فيه من كلام ابن خلدون -رحمه الله- في المقدمة من نحو قوله في علوم الآلة: «فلا ينبغي أن يُنظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط، ولا يُوسَّع فيها الكلام ولا تُفَرَّع المسائل، لأن ذلك يَخرجُ بها عن المقصود»، إلى آخر ما قاله في هذا المقام، وهو تقييدٌ مهم في التحذير من الانشغال بالوسيلة انشغالاً يفوت معه القصد. ويُقال في التخصص القافل ما قيل في هذا، فإذا كان الإغراق في التخصص سبيل الدعوة فمتى تبلغ مقاصدها؟

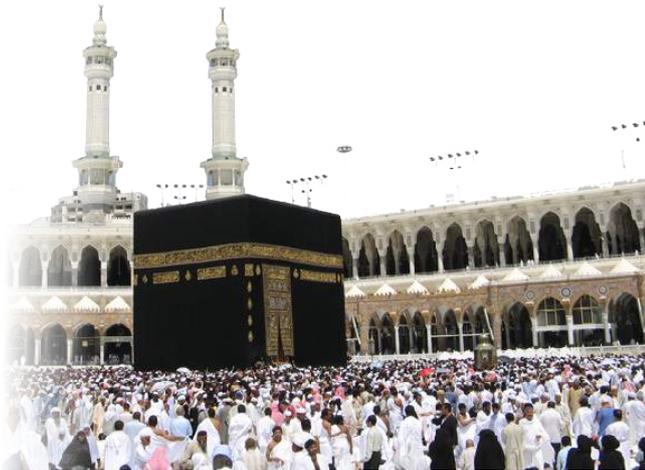


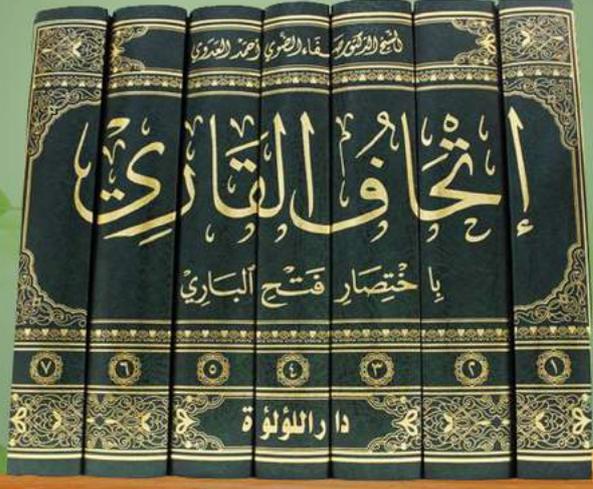
التخصص المبكر نوعٌ من التخصص القافل أيضًا، لأنه يُفَوِّتُ على الداعية الإمامَ الضروري بالجوانب الأخرى التي تعينه على فهم رسالة الإسلام والتحقق من كلياتها ومقاصدها، وأيضًا فإن الاستعداد الشخصي لا تظهر معالمه إلا مع التقدم في السن والمزيد من الخبرة، فناسبٌ في صناعة الداعية البدء في تحقيق القواعد وترسيخ الكليات، ثم يأتي التخصص بعد ذلك، وهذا من الفقه الذي ينبغي أن تراعيه مناهج الدعوة ومدارس إعداد الدعاة. أما التخصص العاقل فيمكن أن يحقق التكامل بين مفردات الدعوة من جهة، وبين الدعوة

والواقع من جهةٍ أخرى إذا راعى أمرين: -جلبَ المصالح ودرءَ المفاسد، محافظًا على الأصول الثابتة، آخذًا بعين الاعتبار تجددَ الحاجات وتنوعها وتطور الحياة الإنسانية.

-استثمارَ جهود الدعوة في مجالاتها وتخصصاتها المختلفة، وجمعَ المحصلة النهائية على غايةٍ واحدة، وهذا هو المطلوب، وهو سعيٌّ في تحقيق قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}، وقد جعل الله لهذا الإظهار أسبابًا تجتمع بها القوة المادية والمعنوية، فتتنظم بذلك الحياة وينهض العمران ويعم الخير البلاد والعباد.

خاتمة هذه المقالة المختصرة: التنبيه إلى أهمية فقه السياسة الشرعية في ضبط مسائل هذا الموضوع، فقد مرت الدعوة في العقود الأخيرة بأطوارٍ وتجاربٍ يتعيَّن الإفادة منها وعرضها على أصول السياسة الشرعية؛ ليطيَّر ما يُحمَد منها عن الذي جانبت فيه الصواب. ومن دلائل التوفيق: الإفادة كذلك من تاريخ الدعوة الذي استطال زمانًا ومكانًا على مر نحو خمسة عشر قرنًا من الزمان، ففي استقرائه استجلاءً للسُنن التي يتعين الأخذ بها تحقيقًا لمقتضى السياسة الشرعية ومقاصد الشرع. وباللله وحده التوفيق.





الشيخ  
د. صفاء الضوي العدوي

## كتاب

# إتحاف القاري باختصار فتح الباري

تشرفت مجلة بينات بهذا اللقاء الممتع مع فضيلة الشيخ صفاء الضوي العدوي حول **(كتاب إتحاف القاري باختصار فتح الباري) ...**

أما الكاتب المؤلّف للاختصار -حفظه الله- فهو يعرفنا بنفسه فيقول:

أنا صفاء الضوي أحمد العدوي: مصري الجنسية، طلبت العلم الشرعي، واستفدت من بعض الشيوخ الأكابر في اللغة والحديث، منهم شيخي نقيب أحمد الرباطي الباكستاني -رحمه الله-. فقد قرأت عليه عددًا من الكتب، واستمرت صحبتي له ثماني سنوات؛ حيث كان أستاذًا للفقهِ وأصوله في جامعة الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وكنْتُ رئيسها وعميد كليتين فيها: كلية الشريعة، وكلية الحديث.

اختصرت فتح الباري؛ فقد كنت شغوفًا به، لا أكاد أتركه، فأشار عليّ بعض الصالحين من أهل العلم أن أختصره وأقربه للقارئ الذي لا يتسع وقته لقراءة الأصل، فكان هذا المختصر: «إتحاف القاري باختصار فتح الباري»، والطبعة الأخيرة في سبعة مجلدات بخط أكبر وتنسيق أحسن وزيادات.

وإني لأرجو أن أكون بكتابي المختصر قد ضاعفتُ قرّاء الفتح المستفيدين مما فيه من العلم. ومما أذكره من الأملوحات أي حين شرعت في الاختصار كنت مُشفقًا من الانقطاع، فرأيت فيما يرى النائم أن طائرة مروحية قريبة من الأرض، وتَمَّ رجلٌ واقف على باب المروحية، وأنا أنظر إليه، فأشار بيده لي، ثم ألقى

من البنات والنساء.. وفجأة طلبت مني السلطات أن أعادرس وسحبوا مني الجنسية التي استمرت معي خمس عشرة سنة، فلجأت إلى تركيا بغير أوراق، ولا زلت فيها منذ ثماني سنوات، ودرس البخاري فيها مستمر طوال هذه المدة لم ينقطع. والحمد لله رب العالمين.

\*\*\*

أما كتاب **(فتح الباري شرح صحيح البخاري)** للحافظ ابن حجر العسقلاني فمعروف أنه من أنفس كتب المسلمين، وأوسعها وأغزرها علمًا في فنون عديدة؛ في شروح السنة، وفي اللغة والفقه، وتراجم رجال الأسانيد.

وقد امتلك الحافظ أدوات العلم، وتمكن في علوم الحديث، فجاء كتابه الذي تلقاه العلماء وطلبة العلم في العالم الإسلامي بالقبول والإشادة. وفتح الباري أحسن الشروح وأوسعها وأغزرها فوائد لأصح كتب الحديث؛ فقد أنفق محمد بن إسماعيل البخاري في جمع كتابه الصحيح ست عشرة سنة، وفق شرط فاقت شروط كتب الحديث دقةً وصرامةً، وذلك نصحًا لله وللأمة وللعلماء في الاستيثاق الشديد والرقابة التامة والأمانة الكاملة في انتقاء أحاديث كتابه الصحيح.

ثم ظل شرح صحيح البخاري دِينًا في أعناق علماء المسلمين، حتى جاء ابن حجر فأدّى عن الأمة هذا الدِّين؛ كما قال ابن خلدون. فجاء الفتح موسوعة علمية فخمة، وكان دُرّة المكتبة الإسلامية.

حتى قيل: إن الشوكاني -فقيه اليمن- قد عزم على الرحيل في الأمصار؛ لجمع العلم، فجاءته نُسخة من الفتح، فأذهله ما فيها من علم وتحقيق عجيب، فقال كلمته المشهورة: «لا هجرة بعد الفتح»؛ يعارض كلمات الحديث في إيقاف الهجرة من مكة إلى المدينة بعد فتح مكة، لكنه يقصد هنا لا حاجة للسفر والترحال للقيّ العلماء بعد أن وصلني هذا الكنز الفائق.

لي ربطة فيها مجلدان من معالم السنن للخطابي، فالتقطتها، وهممت أن أقول له: إن معالم السنن أربعة مجلدات؛ فبادرني بقوله: ها.. تفضل، وألقى لي بالربطة الثانية، وشعرت بالفرح»، وسألت معبرًا كنا نسّميه يوسف هذا الزمان؛ فقال: «مشغول أنت بإنجاز عمل علمي؟ قلت: نعم. ثم سألتني كم مجلدًا معالم السنن؟ قلت أربعة. فقال: أبشر، تتم مشروعك -إن شاء الله-.

أخوكم عضو في رابطة علماء المسلمين.. أعيش في تركيا مع من ضاقت عليهم أوطانهم من إخواني أهل العلم والصلاح.

وقد شرحت سنن ابن ماجه في خمسة مجلدات، وأثنى عليه بعض أهل العلم، وقد طلب الأخ الذي نشر لي كتابي **(إتحاف القاري)** أن يطبع كتابي (إهداء الديباجة في شرح سنن ابن ماجه) طبعة جديدة، يقول: أنا اقتنيت (إهداء الديباجة) منذ سنوات قبل أن أتعرف عليك، وقال: لا أريد مالاً، وسوف أساعدك في المراجعة الأخيرة؛ فقد أعجبني الكتاب جدًّا.

”  
ظل شرح صحيح البخاري  
دينًا في أعناق علماء المسلمين،  
حتى جاء ابن حجر فأدّى عن  
الأمة هذا الدين؛ كما قال ابن  
خلدون. فجاء الفتح موسوعة  
علمية فخمة، وكان دُرّة  
المكتبة الإسلامية.  
“

ولي كتاب آخر هو **(غبطة القاري بإحالات فتح الباري)**.

كان درسي في البحرين كبيرًا، واستمر عشر سنوات، وقد بلغ عدد الدارسين أكثر من مائة مع كل واحد كتاب البخاري.. وكان معنا في الدرس عدد

وقد اعتمد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه على عدد كبير من الشروح التي سبقته، لكنه ناقشها في مواضع، وانتقد وحرّر ونبّه على أوهام في بعض كتب الشروح، فانتقى من بسايتين المعرفة أفضل الزهور وأجملها.

وقد حدثني أحد العلماء الشبان من أساتذة كليات الشريعة أنه ذهب ومعه اثنان من زملائه العلماء لزيارة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-، وكان مما قالوه للشيخ: «ترامت علينا أطراف المكتبة الإسلامية، واتسعت حتى نظن أن الأعمار لا تُوفِّي الحاجة منها، فأَوْصنا بما يُوفَّر علينا الوقت والجهد. فقال لهم: فتح الباري للحافظ ابن حجر فيه العلم كله.. كأنه يشير إلى المقولة: «كل الصيد في جوف الفراء».

وقد كانت مصادر ابن حجر في كتابه الفتح كثيرة؛ حيث جاوزت الألف.

وقد تفنن في كتابه كثيرًا، وخاصةً فيما يتعلق بجمع الطرق، وبيان العلل، ومقارنة الروايات وتخريج الأحاديث والآثار المعلقة التي وردت في تراجم الكتاب.

وكانت رحلته في طلب العلم ولُقياء العلماء في الأمصار واسعة؛ فقد رحل إلى بلاد الشام والحجاز واليمن، وكانت مشيخته كبيرة؛ فقد زاد عدد مشايخه الذين أخذ عنهم عن سبعمائة شيخ، ومن أشهر شيوخه الحافظ زين الدين العراقي وسراج الدين ابن الملقن وسراج الدين البلقيني ومحمد بن يعقوب الفيروز آبادي وغيرهم.

وإن مؤلفاته عديدة نفيسة أحسنها وأوسعها: «فتح الباري»، وله كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة»، و«تقريب التهذيب» و«تهذيب التهذيب»، وله «لسان الميزان»، وله «بلوغ المرام»، وغيرها. أنفق الحافظ ابن حجر في تأليفه لكتابه فتح الباري

ربع قرن من عمره؛ حيث جمع النسخ التي أُجيز من شيوخه بروايتها، ثم عكف على دراستها، فأثبت الفروق بين النسخ وضبط النص ووجّهه.

وقد كثرت المصنّفات حول فتح الباري عنايةً ودراسةً ونقدًا، وأذكر أن لي كتابًا ضمن هذه المصنّفات حول الفتح وهو (غبطة القاري بإحالات فتح الباري)، في مجلد واحد، وهو كشاف للوصول بسهولة للمواطن التي تستكمل شرح الحديث الذي أحال القارئ على مواضع باقية من الفوائد والشرح في ثنايا الكتاب، وكتاب غبطة القاري مهم جدًا للباحث والمحاضر وأساتذة الجامعات.

وقد اعتمد الحافظ ابن حجر في ضبطه لألفاظ الكتاب على أصح نسخ الكتاب، وهي النسخة اليونانية التي أمر بطباعتها السلطان عبد الحميد -رحمه الله-، وقام بتحقيقها الشيخ أحمد شاکر -رحمه الله-. وقال عنها الحافظ الصيرفيني -رحمه الله-: «هذه النسخة (اليونانية) من صحيح البخاري مفرغٌ يُلجأ إليه لصحتها وإتقانه.

### وكان عملي في اختصار فتح الباري، على ما يلي:

١- حذفت أسانيد صحيح البخاري واكتفيت بذكر الحديث عن الصحابي إن كان السياق يساعد على ذلك، وإلا أوردت التابعي معه، وإذا ذكر أحد رجال السند من عنده في متن الحديث فإني أبدأ السند من عنده. وأبقيت تراجم الأبواب كما هي إذ أن فقه البخاري في تراجمه كما هو معروف.

٢- حافظت على عبارة الحافظ ابن حجر - رحمه الله - كما هي فلم أتصرف فيها حتى بعبارة ربط بين الفقرات.

٣- أعرضت عن استطرادات الحافظ في إيراد الطرق ومناقشاته الطويلة لغيره من الشراح في مسألة قد تحسم بأسطر قليلة فاكتفيت بالخلاصات وإيراد أقوال أهل العلم لا سيما الأئمة الأربعة ومن كان في منزلتهم.

٤- حرصت على إبراز قول الجمهور إلا أن يكون الدليل

## ولعل من المناسب أن أذكر بعض ما خطّه

### العلماء الكبار في تقريظ مختصري:

قال الشيخ حماد الأنصاري -رحمه الله-: «وقد وصلني نموذج من مختصر فتح الباري، وقد تصفحته فوجدته عملاً مفيداً إذا استمر على هذا النمط...»، وقال: «ويُعَدُّ أول عمل رأيتَه باسم اختصار فتح الباري.. فإذا تم على هذا الوضع فإنه ينفع كثيراً مَنْ ليس عنده وقتٌ كافٍ لمراجعة هذا الشرح الكبير أعني فتح الباري للحافظ» اهـ.

وقال الشيخ الدكتور أكرم ضياء العمري: «لقد قرأت النماذج التي أرفقتها بخطابك حول مختصر فتح الباري الذي شرعت فيه، وبعد التأمل في خطة العمل ظهر لي أنه يُحَقِّق الهدف، وهو تيسير فتح الباري للقارئ المعاصر المعنيّ بفقهِ الحديث». وقال حفظه الله: «ومن هنا يبدو لي أن العمل الذي تقوم به في اختصار فتح الباري يدخل ضمن المشاريع المعاصرة في تيسير التراث وفيه خدمة للدين والعلم». اهـ.

ولعل مما يحسن تسجيله في تاريخ التدوين والتصنيف الذي ناله الكثير من البركات؛ أن أذكر أن أحد كبار العلماء الدعاة الصادقين قد أخبرني حين التقيتُ به بعد خروجه أنه وعدد هائل من العلماء قد أمموا قراءة كتابي «إتحاف القاري» خلال خمس سنوات؛ حيث توفروا على قراءته ودراسته وسجّلوا ملاحظاتهم وتعليقاتهم، وقد أعطاني ما عثر عليه من هذه التعليقات، فاستفدت منها كثيراً.

فجزى الله خيراً المشايخ الربانيين الذين كانوا يحرسون العلم الشرعي والدعوة والأخلاق، ويحوظون أبناءنا وناشئتنا من أن تمتد إليهم أيادي العابثين فتبعدهم عن أخلاق الإسلام ومفاهيمه.

سجلوا هذه التعليقات في (بعثتهم) الأولى؛ حيث مكثوا فيها خمس سنوات، ولما انتهوا من قراءة الكتاب كله أذن الله لهم بالفرج، هذا في المحنة الأولى.. ونسأل الله -تعالى- ألا تطول محنتهم الثانية.

واضحاً على قول آخر فأعتمده مع ذكر قول الجمهور .

**٥-** اكتفيت بالأحاديث التي يحكم عليها الحافظ بالصحة أو الحسن أو يورد لها شواهد تقويها إن كان فيها مقال . وبهذا يكون ما اعتمدت عليه من أقوال في المختصر مؤيداً بأصح الأحاديث وأقواها إسناداً وأشملها لفظاً .

**٦-** حافظت على آراء الحافظ وترجيحاته وأبرزتها مع غيرها ، كما حرصت على إيراد أقرب الأقوال إلى مدلول الأحاديث في الباب .

**٧-** حذف المناقشات اللغوية واللفظية مما لا يتصل بتفسير الكلمة اتصالاً وثيقاً واكتفيت بتدقيق التشكيل لكلمات الحديث.

**٨-** قمت بعزو الآيات من تراجم أبواب البخاري إلى سورها ورقم الآية وذلك من بداية المجلد الثامن حتى نهاية المجلد الثالث عشر تكملة لما قام به الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي - رحمه الله - حيث توقف عن عزو الآيات عند نهاية المجلد السابع.

**٩-** كان اختصاري على النسخة التي حققها الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - والتي أشرف على طباعتها بالمطبعة السلفية بمصر الشيخ محب الدين الخطيب - رحمه الله - .

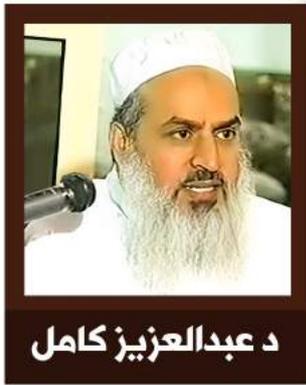
**١٠-** تجنباً لتكرار الأحاديث وتقطيعها في أبواب عديدة - كما كان دأب البخاري وابن حجر - رحمهما الله - فقد قمت بعمل خدمة لهذه الأحاديث وبينت موطنها مشيراً إلى اسم الكتاب ورقم الباب ورقم الحديث ورقم المجلد ورقم الصفحة من المختصر .

**١١-** أبقى تعليقات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - على مذهب الحافظ ابن حجر في مسألة الصفات ومسألة التبرك بالصالحين لما لتعليقاته من عظيم الفائدة، ونصرة لعقيدة السلف الصالح الذين هم أعلم وأفهم ، لقربهم من زمن النبوة وعلمهم بمقاصد الشريعة وأسرار اللغة العربية.

**١٢-** علقت على باقي المجلدات التي لم يعلق عليها فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز وسرت في تعليقي على نفس منهجه - رحمه الله- .

# جرح السودان النازف





د عبدالعزیز کامل

## بلاد المسلمين والانقسام الذي يسبق التقسيم

أثارت أحداث الصراع المندلع مؤخرا في السودان هواجس الانقسام وكوابيس التقسيم المتفق عليها منذ زمان بين الأعداء ، فيما يخص بلدان المسلمين ومقدراتهم ومستقبل أجيالهم . فاستراتيجية الخصوم في إضعاف أمتنا وتفريق صفوفها، تتلخص في الإصرار والاستمرار في ضرب مكامن قوتها وعزتها، ضمن سياسة تجتمع عليها وتتداعى إليها أمم كثيرة كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

وعوامل قوة الأمة التي يتناوب خصومها على ضربها ؛ تتمثل في أمور أربعة : قيامها بالمنهج الحق، واجتماعها عليه، ودعوتها إليه، ودفاعها عنه. وهذا هو مقتضى التكليف الإلهي لأهل الإسلام عندما خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

وضرب هذه العوامل الأربعة، مجتمعة أو متفرقة يتفق الأعداء عليه ويتقاسمون الأدوار فيه، حيث يبدأون الله بالصد عن منهج الدين الحق، فإذا لم يفلحوا في ذلك عملوا على تفريق القلوب فيه، لتتفرق الصفوف عنه، و من ثم تضعف الأمة عن الدعوة لدينها وحماية كيانها ومكوناتها.

ومعلوم أن عوامل الفرقة والاختلاف في النفوس البشرية تبقى كامنة فيها، تعصبا وتحزبا للذات أو العرق أو الأرض أو الجنس أو النسب، والأمر كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٣] إلا من رحم ربك.

[هود: ١١٨-١١٩]

ولذلك؛ فإن عوامل وبواعث الاختلاف تحتاج فقط إلى من يستفها ويستثيرها عند من لا يحترزون منها وينأون عنها.

وفي كثير من الأحيان - بل في أكثرها - لا يصنع الأعداء الخلافات بيننا، وإنما يستغلون الواقع منها ويكبّرونه ثم يوظفونه في خلافات أعمق وصراعات أشد، قد تُفضي إلى التصادم بعد التناوش، وربما التقاتل بعد التهاوش، لتخلو ساحات المواجهة من أي جهة أو جبهة جاهزة للتحدي والتصدي.

ولذلك فإن أعداء الأمة لا يكفون عن ابتكار الأفكار لتغذية الخلافات وتحويلها إلى نزاعات ثم صدامات، تنبني عليها خطط التقسيم وترسيم الحدود الفاصلة بين القلوب لدى مكونات الشعوب. فبعدما قسموا الأوطان على أسس استعمارية بعد أن كانت ضمن كيان واحد جامع تحت قيادة دولة الخلافة العثمانية؛ ظلوا يعددون ويطورون مشروعات الهدم أو التقسيم، في خطط قد تتباطأ أحياناً؛ لكنها لا تتوقف، وقد تفشل أو تتأجل؛ ولكنها لا تياس، إذ الفائدة مزدوجة لدى هؤلاء الذين قال الله تعالى عنهم: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ} [البقرة: ١٠٥]؛ فالتقسيم له فائدتان ثميتان لهما، إحداها تعود عليهم بالقوة والانتشا، والثانية تعود علينا بالضعف والانحسار ومزيد الانكسار.

وإذا كانت إنجلترا وفرنسا قد تقاسمتا أراضي المشرق العربي التي كانت تابعة لتزكيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى على أسس ومصالح آنية لهما؛ فإن اتفاقهما للتقسيم - عام ١٩١٦م - والذي عُرف بـ (اتفاقية سايكس/ بيكو)؛ قد وضع بصيغة عشوائية وصنعة خلافية مقصودة، تبقي على الحدود المرسومة مملوءة بأسباب النزاع وبؤر التوتر والصراع، ريثما تجيء مراحل أخرى يُعاد فيها النظر في التقسيمات استغلالاً للتناقضات الناشئة عن اختلافات (الدين والعرق والمذهب).

وهذه الثلاثية الخلافية تظل تبقي على حدود الدول المقسمة حقول ألغام قابلة للانفجار أو الانشطار كلما اقترب منها عابث أو مغامر! وهو ما يحدث اليوم في لسودان والعراق وسوريا ولبنان واليمن وغيرها من بلاد المسلمين.

### التقاسم بين المقتسمين

تقاسم نصارى أوروبا بجميع طوائفهم مشاريع السيطرة ثم التقسيم لبلاد المسلمين، حتى قبل سقوط الخلافة العثمانية، وأمعنوا في ذلك وبالغوا بعد إسقاطها، فقد وقعت العراق وفلسطين ومصر والسودان، تحت السيطرة والاحتلال البريطاني، واحتلت فرنسا بلاد الشام والمغرب العربي، وهيمنت إيطاليا على ليبيا وبلدان القرن الإفريقي، وحتى هولندا وإسبانيا والبرتغال؛ كانت لكل منها سطوة على مناطق عديدة من بلاد الإسلام.

وقد غذى المستعمرون الصليبيون أسباب الفرقة ليستغلوها فيما بعد في مشروعات تقاسم أخرى للأراضي أو الثروات أو النفوذ، وحتى إذا لم يظفروا بذلك كاملاً؛ فيكفيهم تحقيق أكبر مصلحة في الانقسامات المفضية إلى تفريق القلوب ثم الصفوف، لإبقاء خصمهم الإسلامي التاريخي في حالة انشغال دائم بمشاكله وصراعاته الداخلية، حتى لو سَلِمَ بعضه من الهجمات الخارجية.

منذ عدة عقود، يتوالى الأعلان عن مشروعات تقسيم متعددة، لم يشأ الأعداء أن يبقوها سرية، إذ أن الأوضاع العلنية من ردود الأفعال، صارت غير مقلقة لهم، ولا معرقلية لخططهم، وهي خطط تغطي الماضي والحاضر والمستقبل، وتدلل كلها على أن التقسيم دائماً ما يأتي في سياق التقاسم المنسق بين أعداء الأمة؛ للإبقاء عليها محرومة من عوامل القوة والخيرية الأربعة المذكورة آنفاً.

ومنذ سقوط دولة الخلافة العثمانية؛ لا يكاد عقد زمني يمضي؛ إلا وخطط جديدة تعلن، وخرائط

جديدة تنفذ ، وهذا رصد إجمالي لأبرزها :

### مرحلة العشرينات

في هذه المرحلة، تم توقيع اتفاقية (سايكس-بيكو)، بين فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية ؛ على أن تتقاسم هذه الدول الاستعمارية أملاك، الدولة العثمانية، وقد وقعت تلك الاتفاقية عام ١٩١٦م

وتم بموجبها حصول روسيا على القسطنطينية (إسطنبول) وسيطرت على ضفتى البوسفور ومساحات كبيرة في شرق الأناضول في المناطق المحاذية للحدود الروسية التركية، وحصلت فرنسا على الجزء الأكبر من بلاد الشام وجزء كبير من جنوب الأناضول ومنطقة الموصل في العراق. أما بريطانيا فامتدت مناطق سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعة بالاتجاه شرقا لتضم بغداد والبصرة وجميع المناطق على ضفاف الخليج العربي .

كما تقرر في الاتفاقية أن تقع المنطقة التي اقتطعت فيما بعد من جنوب سوريا وعرفت بفلسطين تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية.

ولكن الاتفاق نص على منح بريطانيا مينائي حيفا وعكا، على أن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا، ومنحت فرنسا بريطانيا بالمقابل استخدام ميناء الاسكندرونة المستقطع من شمال الشام، واختارت انجلترا الانتداب على أرض فلسطين، كي تهيأها وطنًا قوميًا لليهود، وفاء منها بـ (وعد بلفور) الذي منحت بريطانيا اليهود بموجبه اوطنا قوميًا في أرض فلسطين .

### مرحلة الأربعينات

مع إقامة الغرب للكيان الصهيوني على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م، قام المستشرق الصهيوني (برنارد لويس) -الإنجليزي الأصل والأمريكي الجنسية

- بدراسة نشرتها مجلة وزارة الدفاع الأمريكية (البنجاجون) وقد اقترح فيها إعادة زيادة تفتيت العالم الإسلامي من باكستان إلى المغرب، بإنشاء أكثر من ثلاثين كيانًا سياسيًا جديدًا. وهذا المقترح المبكر للتقسيم، شمل بلدانًا عربية وإسلامية، لكننا نشير هنا إلى خطط التقسيم المتعلقة بالمنطقة العربية.

فقد اقترح هذا اليهودي في خطته الماكرة المبكرة مايلي :

- تهيئة المناطق الكردية في إيران والعراق وتركيا للانفصال، كي تكون مكونًا لدولة مستقبلية انفصالية تخص العرقية الكردية.

- ومهيديا لذلك اقترح تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات: كردية، وسنية، وشيعية.

- وفيما يخص سوريا؛ اقترح تقسيمها إلى ثلاث دويلات: درزية، وعلوية، وسنية.

- وأما الأردن فرأى تقسيمه إلى كيانين: بدوي، وفلسطيني.

- وأما السعودية وباقي الجزيرة العربية، فمخططه يقضي بتقسيم يفضي إلى كيانات قبلية، تعيدها إلى حالها قبل وحدتها سنة ١٩٣٣م.

- وفيما يتعلق بلبنان الصغير في مساحته ، والكثير في مكوناته؛ فقد اقترح تقسيمه إلى خمس دويلات أو «

كانتونات» : مسيحية، وشيعية، وسنية، ودرزية، وعلوية.

- ومع أن مصر لا تعاني من اختلافات جوهرية، مذهبية أو عرقية، فقد رأى ضرورة تقسيمها إلى دولتين على الأقل : إسلامية، وقبطية.

- وأما السودان الذي كان تحت إدارة مصرية في عهد الملكية، فكان لابد من فصله عن مصر، وكان

اقترح اليهودي ( لويس) وقتها أن يقسم إلى دولتين: زنجية في الجنوب، وعربية في الشمال.

- واقترح تقسيم المغرب بين العرب والبربر.

- وكذلك اقترح برنارد لويس أن تقسم موريتانيا بين العرب والزنوج والمولدين.

أما مقاصد هذا المخطط بكامله لكامل بلدان

العرب؛ فهي؛ وبنص كلمات الصهيوني برنارد لويس : أن يرى الإسرائيليون أن هذه الكيانات ستشلها خلافات لا انتهاء لها، الأمر الذي سيجعلها أضعف من إسرائيل؛ فتضمن إسرائيل تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل». ( هامش )

### مرحلة الخمسينيات:

في عام ١٩٥٧م ظهر كتاب بعنوان (خنجر إسرائيل) للكاتب الهندي (ر. ك. كرانيجيو)، وقد تضمن ذلك الكتاب وثيقة عُرفت باسم (وثيقة كرانيجيا)، على اسم ذلك الصحفي، وكان الرئيس المصري الأسبق (جمال عبد الناصر) قد أعطاه إياها لنشرها بعد أن تسربت أو سُربت من هيئة أركان الجيش الصهيوني - كما نشر - وهذه الوثيقة تضمنت مخططات مستقبلية حول تقسيم البلدان العربية تقسيماً جديداً بعد تقسيمات (سايكس بيكو)، فجاء فيها الحديث عن تقسيم سورية إلى: دولة درزية في الجنوب، وأخرى نصيرية في اللاذقية، وسنية في دمشق وما حولها، وإنشاء دولة شيعية في جنوب لبنان، وأخرى مارونية، وثالثة سنية في الوسط والشمال، وأيضاً اقتطاع دولة كردية في العراق، وأخرى شيعية في جنوبه، بينما يبقى السنة معزولين محرومين في منطقة الوسط؛ في بغداد وما حولها. (هامش)

### مرحلة الثمانينات:

كُشف النقاب فيها عام ١٩٨٢م عن مخطط تقسيم يستهدف أكثر الدول العربية وأطلق عليه ( مشروع الدويلات الطائفية) وكان الكلام في هذا المخطط بالوضوح والخطر، وقد تحقق كثير منه في العراق والسودان، وظل الخطر ماثلاً بوقوع تقسيمات أخرى مماثلة في كل من: سورية، واليمن، وليبيا؛ وحتى مصر والسعودية؛ إذا جرى التعامل العربي مع تلك المخططات بذات التعامل فيما سبق من تسريبات. ففي تقرير المنظمة الصهيونية العالمية الذي

نشرته مجلة (كيفونيم) «اتجاهات» الصهيونية الصادرة في ١٤ فبراير ١٩٨٢م، والذي نقلته في حينه صحيفة (الأهرام الاقتصادي) المصرية؛ جاءت عبارات صريحة تحكي ما حدث وما زال يحدث للعراق الآن، وما يُدبر لسورية منذ ذلك الأوان.. يقول التقرير:

«.. والعراق الغنيّ بنفطه، والفريسة للصراعات الداخلية؛ هو في مرمى التشتيت الصهيوني، وانهيائه سيكون بالنسبة لنا أهم من انهيار سورية؛ لأن العراق يمثل أقوى تهديد للدولة العبرية في المدى المنظور». والعجيب أن هذا الكلام نشر قبل اجتياح العراق واحتلال أمريكا للعراق بنحو عشرين سنة .

أما سورية فقد جاء في ذلك التقرير بخصوصها: «إن سورية لا تختلف اختلافاً جوهرياً عن لبنان الطائفي، باستثناء النظام العسكري القوي الذي يحكمها، لكن الحرب الداخلية الحقيقية بين الأغلبية السنية والأقلية الحاكمة من الشيعة النصيريين الذين يشكلون ١٢٪ فقط من عدد السكان؛ تدل على مدى خطورة المشكلة الداخلية. إن تفكيك سورية والعراق في وقت لاحق إلى أقاليم ذات طابع قومي وديني مستقل؛ هو هدف الصهيونية الأسمى في الجبهة الشرقية على المدى القصير، وسوف تتفتت سورية تبعاً لتركيبها العرقي والطائفي إلى دويلات عدة».

وعجيب أن يكون هذا الكلام قد نشر علنا قبل الثورة السورية بما يقرب من ثلاثين سنة. وأعجب من أن يتحدث التقرير بوضوح فضحته الأيام عما كان يدبر للسودان، مما حدث في فصل جنوبها، قبل إعلان الفصل بأكثر من ثلاثين عاماً.

### مرحلة التسعينات:

كان لأمريكا في التسعينات مشروع إمبراطوري كبير يعتمد على الهيمنة الكاملة على مواطن المخزون الاستراتيجي العالمي للنفط في كل من العراق وإيران

وبحر قزوين وبلدان الخليج العربي، وكان مسماه (مشروع القرن الأمريكي) وقد تنبأه المحافظون اليهود الجدد، الذين كانوا في سُدّة الحكم في عهد بوش الابن، غير أن مشروع القرن قد فشل تحت وقع التصدي الجسور للغزو الأمريكي في كل من العراق وأفغانستان، والذي كان مقرراً أن يضاف إليهما في الغزو خمس دول.

في حمأة الانهماك الأمريكي بمشاريع الغزو لتأسيس إمبراطورية القرن الأمريكي، كثر الحديث عن مشروعات تقسيم أمريكية في ظل ما عُرف بـ (الشرق الأوسط الكبير)، وكان أشهرها تجديد مشروع التقسيم الصادر أيضاً عن ذلك اليهودي

المخضرم (برنارد لويس) وقد كانت أمريكا في غزوها للعراق وأفغانستان تتجه إلى تنفيذ رؤيته التي وضعها في عقد الأربعينيات، ليجددها في أوائل عقد الثمانينيات، وليجري العمل بها وتفعيلها في العشرة الأولى من الألفية الثالثة.

يقوم مشروع ذلك اليهودي الجلد - بعد تحديثه - على تقسيم معظم البلاد الإسلامية والعربية على الأسس الثلاثة المعتمدة في التصورين الأمريكي والإسرائيلي، وهي الاختلاف الديني والطائفي والعرقي. وطالب برنارد بتحويل الكيانات الإسلامية والعربية إلى أبراج من ورق تظل هشة حتى يستمر الكيان اليهودي قوياً. وتكرر في مشروعه الحديث عن تقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام، كما هو مذكور في المخططات الإسرائيلية السابقة، وأما سورية فعلى أربعة أقسام، منها قسم للعلويين، وقسمان

للسنة، وقسم للدروز؛ ومصر إلى أربعة أقسام: قسم في سيناء وشرق الدلتا يكون تابعاً للنفوذ الصهيوني ضمن (إسرائيل الكبرى)، وقسم للأقباط في شمال مصر تكون عاصمته الإسكندرية، وقسم للنوبيين في الجنوب تكون عاصمته أسوان، وقسم للمسلمين عاصمته القاهرة.

والسودان في خريطة برنارد لويس؛ ينبغي أن يكون في أربعة أقسام: قسم في الجنوب للنصارى والوثنيين، وقسم في أقصى الشمال للنوبة يكون مكملاً لدويلة النوبة في جنوب مصر، وقسم للمسلمين غير العرب في دارفور، وقسم للمسلمين العرب في الوسط؛ وأما اليمن فرأى اليهودي اللدود تقسيمه إلى شمال

وجنوب؛ وأما بلدان الخليج فإن برنارد لويس يرى ضرورة تقسيمها إلى دولة للشيعا العرب على الساحل الغربي للخليج العربي، بحيث تُضم إلى جنوب العراق « الشيعي » بعد انفصاله، ورأى ضم جزء من شمال الجزيرة العربية إلى الأردن، الذي يطالب برنارد لويس بتحويله إلى وطن بديل للفلسطينيين،



وهو المشروع الذي طالما خطط الهالك شارون لتنفيذه . وليس غريباً أن يرى ذلك الصهيوني الأمريكي أن تلحق المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية لحكم الشيعة، وأن يؤول وضع مكة والمدينة إلى تدويل إدارتهما، تمهيدا لفصلهما عن الإدارة السنية بالسعودية، وهو الطلب نفسه الذي يلح عليه رافضة العرب والعجم منذ سنوات؛ أما وسط الجزيرة في بلاد نجد، فيبقى - كما يطالب لويس - لأهل البلاد من السنة العرب، مجرداً من الثروة والقوة ! ولا بد للتمهيد لذلك من إثارة النعرات القبلية،

والنزاعات المذهبية .

### مرحلة العشرية الأولى من الألفية الثالثة :

وفي عام ٢٠٠٦ نشرت مجلة القوات المسلحة الأمريكية في عدد يونيو من ذلك العام، مقالاً لـ «رالف بيترز»، ضابط المخابرات الأمريكي المتقاعد، اقترح فيه إعادة تقسيم بلاد العرب والمسلمين على أسس عرقية، ووضع لذلك خريطة سماها «خريطة الدم»، واقترح على أمريكا أن تقوم بتنفيذها كما قامت إنجلترا وفرنسا بتنفيذ خريطة (سايكس بيكو).

وفي خطته يكرر بيترز - أو بطرس - كثيراً من تفاصيل المخططات السابقة عن خطته ، لكنه يزيد على ذلك مقترحات بإلغاء دول قائمة وإنشاء دول جديدة.

رؤية رالف بيترز لم تكن عميقة ولا واقعية، لكنها تكشف - كما قال الدكتور عبد الوهاب المسيري على موقعه الإلكتروني - عما يدور في رؤوس صناع القرار الأمريكيين تجاه العالم الإسلامي، فكاتب المقال ضابط قريب من صناع القرار ويعمل في مجال المخابرات، ونُشرت مقالته في مجلة تعكس وجهة نظر القوات المسلحة الأمريكية، وقد اتضح فيما بعد أن رالف بيترز لم يكن يتحدث من فراغ، فبمجرد اندلاع حرب لبنان عام ٢٠٠٦ سارعت كونداليزا رايس، وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة، إلى التبشير بأن الشرق الأوسط الجديد يعاد رسمه الآن! حيث ظنت أن الحرب ستتوسع لتشمل بلدان المنطقة، ما يسمح بتدشين تقسيمات جديدة.

مخططات التقسيم.. وقواسمها المشتركة :

**بالتأمل في مجموع ما سبق من مخططات، نرى أن هناك قواسم مشتركة بينها في تفاعلاتها وتداعياتها ، وهذه القواسم منها :**

- أنها جميعاً تستهدف أهل الإسلام عامة، وأهل السنة خاصة، والعرب منهم على وجه أخص .

- وأنها لم تكن مجرد مؤامرات نظرية، بل هي مخططات عملية تتحول إلى مقررات للتنفيذ في الظروف المواتية.

- وكذلك نلاحظ أن السنة العرب في مخططات التقسيم، تُترك لهم الأماكن الأكثر فقراً والأكثر عزلة.

- كما يلاحظ أن هناك أطرافاً أربعة تتعاون في تنفيذ وإدارة مشروعات التقسيم بعد أن خرجت من أيدي دول الاستعمار القديم بزعامة إنجلترا وفرنسا، وهذه الأطراف هي: أمريكا، و«إسرائيل»، وإيران والأنظمة العميلة أو المغفلة.

- ويتضح لكل مراقب أن لكل طرف من الأطراف الأجنبية مشروعته التوسعي الإمبراطوري الخاص الذي يسعى من خلاله إلى التمدد على حساب أراضي المسلمين السنة وثرواتهم، وأنه لولا التواطؤ من أطراف داخلية؛ لما استطاعت القوى الخارجية أن تحقق غاية أو ترفع راية.

- وأنه لكل ماسبق؛ فإن للصهيونية العالمية - بقسميها اليهودي والنصراني - دوراً مركزياً في زرع بذور المشروعات التقسيمية وفي جني ثمارها، فما من مشروع تقسيم إلا ولها ضلع فيه؛ تنظيراً للخطط أو تحصيلاً للمصالح.

السودان في خريطة برنارد لويس؛  
ينبغي أن يكون في أربعة أقسام:  
قسم في الجنوب للنصارى والوثنيين،  
وقسم في أقصى الشمال للنوبة  
يكون مكملاً لنوبة النوبة في  
جنوب مصر، وقسم للمسلمين  
غير العرب في دارفور، وقسم للمسلمين  
العرب في الوسط..

- ولذلك فإنه لا يخفى -ولا ينبغي أن يخفى - عن كل متابع؛ أن هناك توافقاً لافتاً في كثير من تفاصيل هذه المشروعات رغم تعدد صناعاتها واختلاف أزمته، حيث تُجمع كلها على ضرورة تركيز الهيمنة أو تقاسمها في المناطق الأربع التي تمثل قلب العالم الإسلامي، وهي أقطار الشام ومصر والعراق وبلدان الجزيرة العربية، ثم الأقطار التي تمثل عمقاً استراتيجياً لها. وهذه البقاع الأربع؛ هي التي تلتقي حولها مخططات (إسرائيل الكبرى) و(صفقة القرن) و(الولايات المتحدة الإبراهيمية).

ولكن هذا موضوع مهم آخر؛ له تفصيل في مقال آخر بإذن الله.



# الصراع في السودان واحتمالاته المستقبلية

ما يحدث في السودان منذ فترة طويلة هو صراع ممتد، وما يحدث حاليا هو أزمة داخل الصراع. وإذا كنا نتحدث عن الوضع المستقبلي للصراع هناك؛ فيجب أن نبحث عن جذور الصراع والأسباب التي أدت الى استمرار الحالة الصراعية. هناك أجنادات دولية واقليمية لتقسيم السودان، والمخطط الجديد يقوم على فصل دارفور، والحديث يدور أيضا على فصل ولايات أخرى مثل ولاية البحر الأحمر، وهي الولاية الوحيدة في السودان التي تطل بحدود بحرية مباشرة على البحر الأحمر، وبالتالي فإن استقطاعها من السودان يجعل منه دولة حبيسة مثل إثيوبيا التي حدث لها هذا الوضع المعزول عندما تم استقطاع اريتريا منها. وفي الحقيقة فإن مخططات التقسيم التي تستهدف أرض السودان لا تستهدفها فقط، بل تستهدف أيضا مصر وليبيا والسعودية، وتقف خلفها أطراف دولية، وتعتمد في تنفيذها على أدوات وظيفية لأطراف اقليمية.



د. عصام عبد الشافي

ونستطيع أن نحدد أربعة سيناريوهات مستقبلية للأزمة السودانية الراهنة بناء على تقدير الوضع القائم، علما بأن هذه السيناريوهات هي تقديرات من وجهة نظر شخصية، تحتمل الأخذ والرد.

**الاحتمال أو «السيناريو» الأول :** أن تقوم القوات المسلحة بقيادة البرهان بحسم المواجهة، مدعومة بالعديد من الأطراف الاقليمية والدولية، والمسنودة كذلك من الحاضنة الشعبية ، فالجيش قد يتمكن من التخلص من حميدي والانفراد بالسلطة، وتأجيل بل تجميد عملية الانتقال السياسي والتسوية مع القوى المدنية، وهو ما يعني الاستقرار النسبي الهش، لأنه لو تم القضاء على حميدي في هذه المرحلة؛ فإن ذلك لا يعني القضاء على كل قوات الدعم السريع وقيادات الصف الثاني فيه، ولا يعني أيضا القضاء على الميليشيات والجماعات المسلحة التي انتشرت في السودان منتهزة انهيار النظام السابق كي تتمدد وتتطلق في مختلف الولايات خلال السنوات الأربع الماضية، أي منذ عام ٢٠١٩ وحتى الآن.

**السيناريو الثاني :** وهو عكس الأول، أي أن تقوم قوات الدعم السريع بقيادة حميدي بحسم المواجهة أو على الأقل السيطرة على المناطق الاستراتيجية والمقرات الحيوية، وتفرض معادلة جديدة على الأرض من شأنها تقاسم السلطة بين الذراعين القويين داخل الدولة السودانية، وبالتالي يتم في هذه الحالة تجاوز بنود الاتفاق السياسي والخاص بدمج قوات الدعم السريع بالجيش، رغم أنه يوجد مرسوم رئاسي صدر سنة ٢٠١٥ بدمج تلك القوات في الجيش، وبعدها تم سن قانون اعتمد عام ٢٠١٦ ويقضي بأن تكون جزءا من قوات الجيش، ولكن نظرا لوجود حميدي على رأس هذه القوات فإنه يحافظ على درجة من الخصوصية لقواته باعتبارها

تشكيلا مسلحا داخل الدولة السودانية، وبالتالي لو افترضنا نجاح هذا السيناريو ؛ سيكون هناك استقرار نسبي هش، لأن كل طرف من طرفي الصراع العسكري سيعمل على تغييب الطرف المدني مؤقتا، وسيبقى متربصا بالآخر في انتظار فرصة للانقضاض على رأس السلطة.

**السيناريو الثالث :** هو استمرار الوساطات وتعدد المبادرات، التي كان أولها تهدئة عيد الفطر الماضي لمدة ثلاثة أيام، بعلة احترام هذه المناسبة الدينية، ولكنها لم تكن لهذا في الحقيقة، بل كانت استجابة لضغوط من الدول الكبرى لإجلاء رعاياها، ثم جاءت المبادرات السعودية الأمريكية.

ويفترض سيناريو استمرار وتعدد المبادرات أن تنجح بعض الأطراف الدولية والاقليمية في فرض تسوية سياسية مؤقتة ، خاصة وأن بعض هذه الأطراف تمارس دورا في المشهد السوداني، كمصر والسعودية والإمارات. وبالتالي فإن هذه الأطراف الثلاثة بجانب أثيوبيا والولايات المتحدة والصين وغيرها، تمتلك العديد من أوراق الضغط والتأثير على الأطراف الداخلية، سواء المدنية أوالعسكرية، وهي تستطيع توجيه بعض هذه الأطراف وتحريكها. وستكون نتيجة هذا السيناريو أيضا مثل سابقه؛ استقرار هش، لوجود طرفين يهيمنان على مؤسستين، ويمتلكان كثيرا من أدوات القوة الصلبة المسلحة والقدرات الاقتصادية والدعم الاقليمي والدولي. وسيبقى لدى كل منهما الطموح والانتظار لفرصة التمدد وفرض السيطرة.

**السيناريو الرابع :** هو استمرار التوتر والصراع والمواجهة، وعدم القدرة على الحسم وفشل كل الأطراف الداخلية في إدارة علاقاتها، في ظل تعارض الأجندات وارتباط هذه الأطراف الداخلية بأجندات

متصارعة لأطراف اقليمية ودولية، والنتيجة فشل مستمر في تحقيق انتقال سياسي سلس، وانتظار حدوث انقلاب عسكري جديد بأطراف جديدة، أو انتفاض بعض الأقاليم السودانية مدعومة من بعض الجماعات أو التشكيلات المسلحة الجديدة، وهذا يعني وصول السودان الى مرحلة الدولة الفاشلة؛ لا قدر الله .

**والدولة الفاشلة، تعني تلك الدولة التي لا تمتلك القدرة على فرض سيطرتها وسيادتها على كامل أراضيها، وتتنازع أطراف داخلها على السلطة والسيادة، في ظل ما يطلق عليه وصف ( تشكيلات ما دون الدولة ) وهذه المرحلة تعني بداية الانهيار الذي ينتهي بالتفكيك والتقسيم .**

وقد ترى بعض الأطراف الدولية والاقليمية تأجيل التقسيم، وبقاء الوضع على ما هو عليه، بمعنى لا تقسيم ولا تسوية، كما ظل الحال في النموذج العراقي من ٢٠١٣ الى ٢٠١٥، وكذا هو الحال في سوريا اليوم، لا تقسيم ولا تسوية. والدول في هذه الحالة تصير إلى وضع التدمير الذاتي للقدرات والتفكيك التلقائي من الداخل، الى أن تأتي الفرصة للأطراف الإقليمية والدولية المتربصة،

لترى أن خيار التقسيم هو الأفضل لمصالحها الاستراتيجية في تفسير في هذا الاتجاه على حساب الدولة السودانية وأراضيها وأمنها وسلامتها. تقدير الموقف يتطلب ترجيح أحد هذه السيناريوهات، وهناك من يرجح السيناريو الرابع، وعليه يكون كل ما سيجري خلال المرحلة القادمة

هو محاولات احتواء وتسكين للانفجار الكبير أو التقسيم الكبير، خاصة وأن هناك أطرافا إقليمية تمارس أدوارا وظيفية في مخطط التفكيك والتقسيم والتدمير في ظل الانقسامات الاجتماعية التي حاولت معظم القوى السياسية ترسيخها بعد انقلاب ٢٠١٩، وبعد انقلاب ٢٠٢١، وحتى بعد انقلاب ١٩٨٩. وإذا كان هناك أمل في كسر أخطر هذه هذا السيناريوهات؛ فلن يقوم - بعد توفيق الله عز وجل - إلا على قوى مدنية ونخبة سياسية وقيادة عسكرية واعية داخل المؤسسة العسكرية، مع وجود حاضنة شعبية مؤمنة بوحدة الوطن وضرورة العمل على أمنه واستقراره، والقدرة على تشكيل بديل وطني قادر على الخروج بالبلاد من هذه الأزمة.



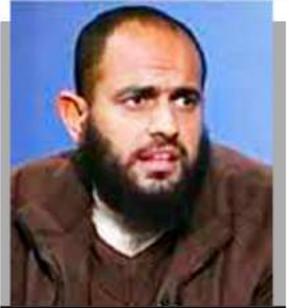
والسودان غني بأبنائه وقدراته وخبراته، والعمل كذلك على تحييد العامل الخارجي مهم، فالقوى السياسية التي تسعى للتغيير الحقيقي وانقاذ وطن أيا كان هذا الوطن من مخططات التفكيك والتقسيم، يجب عليها أن تعمل على أن تكون لها حواضن اقليمية ودولية، وأن تعمل على الأقل على تحييد هذه الأطراف الاقليمية



والدولية في مرحلة ما، لأن هذا التحييد من شأنه على الأقل أن يساهم في توفير الظروف، لأنه بدون هذا التحييد لن تنجح عمليات الانتقال والتحول للأصلح، الا اذا كان هناك تيار حقيقي قوي، يتمدد في ولايات السودان الـ ١٨، ويحول دون مخططات التفكيك والتقسيم.



## أمريكا وإدارة الصراع في السودان



أحمد مولانا

مع اندلاع القتال مؤخراً في السودان بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع؛ سارعت الإدارة الأمريكية -على لسان وزير الخارجية بلينكن- لمطالبة الطرفين بوقف إطلاق النار، مع التأكيد على التزامها بدعم التحول الديمقراطي في السودان.

ثم أعلن الرئيس الأمريكي جو بايدن أن «الوضع في السودان بما في ذلك استيلاء الجيش على السلطة في ٢٠٢١م، واندلاع القتال الحالي؛ يهدّد أمن أمريكا القومي»، ثم أصدر أمراً تنفيذياً يسمح بفرض عقوبات على ما وصفه بشخصيات تُزعزع الاستقرار في السودان.

إدًا، فواشنطن غير معنيّة بحلّ الصراعات بقدر حرصها على توظيف تلك الصراعات، ولذا يقول جورج فريدمان، مؤسس موقع ستراتفور، في كتابه «الأعوام المائة القادمة، استشراف للقرن الحادي والعشرين»: «لا تحتاج الولايات المتحدة إلى الانتصار في الحروب، ما تحتاجه بكل بساطة هو إغراق الآخرين في الفوضى؛ بحيث لا يمكن لهم إنتاج ما يكفي من القوة لتحدي هيمنتها».



### ما الذي تريده واشنطن والغرب من السودان؟

يقع السودان في قلب القارة الإفريقية؛ حيث تمر عبّره عدة خطوط صدع، ومن أبرزها: خط الصدع التاريخي بين مناطق النفوذ العربية والإسلامية ومناطق النفوذ الإفريقية الوثنية والمسيحية، وهو الذي أدّى إلى حربٍ أهليةٍ انتهت بانفصال جنوب السودان. وخط الصدع الثاني بين مناطق السهول ذات الغالبية العربية المسلمة ومناطق النفوذ الإثيوبية المسيحية في مرتفعات الحبشة، وهو ما أدّى إلى تكرار النزاعات الحدودية بين البلدين.

وخط الصدع الثالث بين القبائل العربية والإفريقية المسلمة في غرب السودان، وهو ما قاد إلى أزمة دارفور.

وبالتالي، فإن تنشيط خطوط الصدع المذكورة يصبّ في صالح استنزاف العالمين العربي والإسلامي، وهو ما يُعصّده حديث روبرت جيتس مدير CIA ووزير الدفاع الأمريكي السابق في مذكراته عن مجريات لقاء جمعه برئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود باراك في عام ٢٠٠١م؛ حيث قال له باراك: «الأخبار

يشير التوجه الأمريكي بتصوير الصراع كخلاف بين جهتين رسميتين معتبرتين، وليس كصراع بين جيش قومي وقوات متمردة، إلى أن واشنطن قرّرت أن تلعب لُعبتها المفضّلة في إدارة الأزمة، بدلاً من حلها، وتوظيف الصراع لخدمة أهدافها الاستراتيجية الكبرى بالمنطقة.



وهذا النهج أشار له وليام بيرنز، مدير الاستخبارات الأمريكية CIA، ونائب وزير الخارجية السابق في مذكراته التي نشرها باللغة الإنجليزية في كتاب عام ٢٠١٩م بعنوان «القناة الخلفية»؛ حيث قال: «إنه تعلّم من هيدلي بول مشرفه الأكاديمي على رسالته للدكتوراه أن الدبلوماسية تتعلق عادةً بإدارة المشكلات أكثر من حلّها».



أما روبرت جيتس مدير CIA في عهد بوش الأب ووزير الدفاع الأمريكي في عهدي بوش الابن وأوباما، فيشرح مثلاً عملياً لتلك القاعدة في مذكراته الصادرة بعنوان «الواجب»؛ حيث يتناول الدور الأمريكي في حرب العراق وإيران قائلاً: «لم نكن نريد أن يحقّق أيٌّ من الطرفين نصراً كاملاً، وبين الحين والآخر كُنّا نُؤمّن دعماً سريّاً متواضعاً لكليهما».

والجهويّة، وهو ما يجعل قلب القارة الإفريقية أشبه ببلقان جديد قد يُشعل صراعًا يطول تشاد وإفريقيا الوسطى وجنوب ليبيا ومصر وإثيوبيا وإريتريا.

### الاستعداد للتداعيات

اللافت أنه رغم إدراك جيران السودان مثل مصر لخطورة ما يحدث على وحدة السودان وقمّاسكه؛ إلا أنها لم تقم بجهدٍ فاعلٍ ومؤثر لاحتواء الصراع. وقد سبق لوزير الخارجية المصري السابق وأمين عام جامعة الدول العربية الحالي أحمد أبو الغيط أن تطرّق في مذكراته المعنونة بـ«شهادتي» إلى لقاء جمعه بالرئيس السوداني السابق عمر البشير؛ حيث قال أبو الغيط له: «إن الغرب يرغب في تمزيق السودان، وإن بريطانيا تستشعر أنها أخطأت عندما تركت السودان دولةً موحدةً في عام ١٩٥٦م، كما أن هناك مصالح مسيحية لدى دوائر غربية وأوروبية ذات تأثير تبغي إقامة دولة في الجنوب السوداني، كما أن هناك مصالح استثمارية قوية تأمل في أن تتمكن من الاستفادة بموارد السودان بعيدًا عن حكم مركزي قوي».



إن الأحداث الحالية في السودان تتطلّب من الزعامات القبليّة والدينية وأصحاب الرأي والتأثير؛ الاستعداد لمواجهة محاولات تقسيم البلاد وتفتيتها، أو توظيف الصراع لتسليم البلاد لأطراف تُمثّل مصالح الخارج بدلاً من مصالح السودان وأهله. فتكرار نموذج التفتيت بدعم خارجي، مثلما حدث في اليمن وليبيا، سيدفع ثمنه أهل السودان، فضلاً عن العالمين العربي والإسلامي.

الجيدة هي أن الأزمة في المنطقة لا تتعلق بإسرائيل أو أمريكا، بل بالمشكلات الداخلية في البلاد العربية، وعلينا العمل لإبقاء التركيز منصبًا على ذلك».

إنّ إضعاف السودان يُسهّل التلاعب بقادته، ويدفع كلاً منهم للتسابق على التطبيع مع إسرائيل؛ لكسب حلفاء أكثر لصقّه ضد غرمائه الآخرين. فالسودان يحمل رمزية مهمة عبّر عنها جاريد كوشنر كبير مستشاري ترامب قائلاً: «إن التطبيع مع السودان يحمل قيمة رمزية؛ لأن جامعة الدول العربية عقدت اجتماعًا في الخرطوم بعد حرب ١٩٦٧م، وأعلنت اللات الثلاثية: لا سلام، ولا اعتراف، ولا مفاوضات مع إسرائيل».

وكذلك فإن الصراع في السودان، يساعد واشنطن في الضغط على طرفي الصراع للابتعاد عن موسكو، والتي تطمح في تأسيس قاعدة عسكرية بحرية في بورتسودان على البحر الأحمر، فضلاً عن انخراط فاغنر في تجارة الذهب مع قوات الدعم السريع، وسعيها لتعميق نفوذها في قلب القارة الإفريقية بعد أن انتشرت في ليبيا ومالي وإفريقيا الوسطى. وبالتالي يمكن لواشنطن تقويض نفوذ فاغنر عبر المراوحة بين استخدام العصا والجزرة في التعامل مع قادة الجيش السوداني والدعم السريع، وهو ما يبرز في تلويح بايدن بفرض عقوبات على الشخصيات التي تُزعزع الاستقرار في السودان.

إن السودان يعاني منذ رفع الحصار الأمريكي في أكتوبر ٢٠١٧م من تدهور اقتصادي مريع؛ إذ ارتفع سعر الدولار من ٢٢ جنيهاً في أكتوبر ٢٠١٨م، إلى نحو ٦٠٠ جنيه قبل اندلاع القتال الأخير، وواكب ذلك موجة تضخم هائلة، تضاعفت خلالها الأسعار بشكل جعل توفير أساسيات الحياة أمراً صعباً للغاية، مع حدوث أزمات وقود وطحين حادة ومتكررة.

ثم جاء القتال الأخير ليدمر البنية التحتية، وبالأخص في الخرطوم، وليهدّد بالدخول في أتون فوضى يلتفّ فيها الناس حول هويّاتهم القبليّة



## حوار مع فضيلة الشيخ مختار البدري حول الشأن السوداني

نائب رئيس الاتحاد السوداني للعلماء والأئمة والدعاة

نرحب بفضيلتكم بمجلة  
بينات،

شاكرين استجابتكم لإجراء  
هذا الحوار، راجين الله  
تبارك وتعالى أن يحفظ  
السودان وأهله، ويحقن  
دماء مواطنيه، و يطفئ  
الفتن ويقمع من يشعلها  
ويوفق الساعين للإصلاح

..

**فضيلة الشيخ مختار : مرحبا بكم وأهلا..**

**بينات : فضيلة الشيخ : تفاجأ كثيرون باندلاع الصراع في السودان، فما  
خلفيات ذلك؟ وما أبرز الأطراف الداخلية المُشارِكة فيه؟ وما أجندتها؟**

الحمد لله، والصلاة على رسول الله، فنحن -ولله الحمد- في الاتحاد السوداني  
للعلماء والأئمة والدعاة، لم نُفاجأ تماماً باندلاع الصراع؛ لأننا كنا قريبين من  
الحدث؛ إذ إننا قابلنا قادة الصراع وقادة بعض الأحزاب السياسيّة المتصارعة  
في الساحة، وكان سعيُّنا الدؤوب والحثيث لجمع كلمة المسلمين، ولو على  
مستواها الأدنى؛ لكيلا تقع الواقعة وتذهب الريح!

أما الخلفيات فواضحة وضوح الشمس: أحزابٌ علمانية خبيثة عميلة  
لسفارات عربية وغربية، تُصرِّح بأنها تنفِّذ أجندة خارجية، كما جاهر  
بعضهم: إما العلمانية أو نمزق السودان طوبة طوبة!، وقال غيره: إما

الاتفاق الإطاري العلماني أو الحرب!  
فالعلمانيون يتحملون وزر هذه الحرب تمامًا.  
وأطراف هذا الصراع: الدولة السودانية ممثلة  
في الجيش، والطرف الآخر قوات الدعم السريع  
التي زادت ثورتها على الإنقاذ عددًا وُعدداً  
حتى سيطرت على موارد البلاد ومناجم الذهب،  
وتسلطت على الجيش فصارت هي الأمر الناهي،  
ومن خلفهم الأحزاب العلمانية، ولا شك أن قيادة  
الجيش انصاعت لإملاء السفارات العربية والغربية  
وضغط الأحزاب العلمانية: كأحزاب الحرية والتغيير،  
والشارع الثوري الممثل في لجان المقاومة والنقابات،  
المُسيطر عليها من اليساريين، وأدى ذلك لتنفيذ  
الأجندة العلمانية في الحكم والسياسة ومناهج  
التعليم والقضاء بقوة سلاح الدعم السريع الذي  
صار الجناح العسكري للقوى العلمانية. ﴿وَيَمْكُرُونَ  
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأفئال: ٣٠].

**بيانات : تورط أطرافٍ إقليمية ودولية في الصراع  
بالسودان صار أمرًا معروفًا، لكن بعضه يكتنفه  
الغموض والتناقض، فهل تفسرون لنا ما يربط بين  
الأطراف المتورطة في هذا الصراع ؟**

لا يخفى على الناظر أن هذه القوى جميعًا إنما تعادي  
الإسلام وتحكيمه في بلاد المسلمين، واتخذت الحرب  
المعلنة ضد تيارات الإسلام السياسي بمختلف أشكالها  
تحت ستار محاربة الإخوان المسلمين وغيرهم ممن  
يطالب بتحكيم الشرع أو معاداة الهيمنة الغربية،  
فهم وإن اختلفت مصالحهم العسكرية والسياسية  
اجتمعت كلمتهم على محاربة كل من ينادي  
بتطبيق الشرع؛ كما اجتمعت الأحزاب بتأليب  
من اليهود والمنافقين على أهل المدينة، وحتى  
بعض التيارات الإسلامية كمن يسمون بالمدخلة  
؛ صاروا أداة لبعض الدول في حربهم ضد كل من  
يعارض مشروعهم العلماني؛ بحجة طاعة ولاة الأمور  
المزعومين!

**بيانات : واضح أن قوى التمرد بقيادة حميدتي لها  
أطماع وطموحات؛ فما سقف هذه الطموحات؟  
وإلى أين انتهوا حتى هذه المرحلة (في منتصف عام  
٢٠٢٣م)، وماذا يريدون في المستقبل المنظور؟**

بدأت هذه القوات بمصالح وطموحات سلطوية  
وقبلية، واستعلت لأجندة إقليمية؛ فمنها الأطماع  
الروسية في السيطرة على القارة الإفريقية بدعم  
المجموعات العربية لزعزعة النفوذ الفرنسي الذي  
يقترن عادة مع المجموعات الإفريقية، وكذلك  
محاولة الاستحواذ على الموارد السودانية خاصة  
في مجال التعدين والذهب، أما الأجندة الإقليمية  
العربية والغربية فهي دعم المشروع العلماني في  
السودان وحمائته ممن يسمونهم بفلول النظام  
السابق، وضمان عدم سقوط الحكومات العلمانية  
المدعومة غربيًا وإقليميًا، كذلك النفوذ الاقتصادي  
الغربي عبر الوسطاء والشركاء الاقتصاديين الماسونيين  
في السودان.

**بيانات : هناك من يقول: إن الجيش السوداني في  
عهد البشير كان أشبه بالجيش الباكستاني في عهد  
الرئيس ضياء الحق من جهة شيوع التدين في  
قطاعاته وقياداته؛ فما مدى صحة هذا القول؟  
وهل لا يزال الأمر على هذا الوصف؟ وما تأثير  
ذلك على مسار الأحداث؟**

لا شك أن الأسلمة الواضحة التي حدثت للجيش  
السوداني خلال حكم الإنقاذ إلى درجة إعلان الجهاد  
في جنوب السودان، إضافة إلى مشاركة الدعاة في  
التوجيه المعنوي الإسلامي والثقافة الدينية، حتى  
إن الجيش كان يستقبل علماء إسلاميين من خارج  
السودان، ويجدون من الحرية في الخطاب الديني  
ما لا يجدونه في بلادهم، فكان أهم أهداف التغيير  
العلماني الذي حصل عام ٢٠١٩م هو التخلص  
من الوجود الديني في الجيش، وإبعاد القيادات

الإسلامية منه، واستبدالها بعقيدة علمانية للجيش كما صرح أحد عملاء السفارات، وصرح ياسر عرمان في ١٨ أبريل ٢٠١٩م بعد أيام على سقوط الإنقاذ بضرورة التحالف مع دول الخليج المعادية للإسلاميين للتخلص من وجودهم في الجيش والدولة، ولقد صرّح لنا أحد قادة الأحزاب السودانية الكبيرة بأن الدول الخليجية صرّحت لهم بأنها لا تريد أي إسلاميين في السلطة نهائيًا!



**بينات : صار السودان نموذجًا لإصرار القوى المعادية للأمة على تمزيق أوصالها بموجب مخططات تقسيم متعددة، فيلأ أين وصلوا؟ وإلى أين يريدون الوصول؟**

صار السودان ساحة مفتوحة لصراع القوى الإقليمية والدولية، وساعدهم على ذلك أن ساسة السودان من زعماء الأحزاب شرذمة من العملاء الرخيصين، الذين يُصرّحون بعلاقاتهم الوضيعة مع السفارات؛ فحدّث عن ذلك ولا حرّج، وظنّي أن هذا المخطط إلى زوال -باذن الله- بعد هزيمة القوات التي تدافع عن مصالح هذه القوى العلمانية. ولكن لن تنتهي العداوة والمكر الكُبار ضد الإسلام وأهله؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

**بينات : من موقع مسؤوليتكم في اتحاد علماء المسلمين؛ كيف ترون الموقف الشعبي الواجب اتخاذه شرعًا تجاه الأحداث؟ وما دور أهل العلم والفكر في توجيه هذه الأحداث إلى ما هو أصح وأسلم؟**

ما يزال الاتحاد السوداني للعلماء والأئمة والدعاة منذ نشأته بعد انهيار نظام الإنقاذ يصرار هذه التيارات العلمانية ومن خلفها من السفارات، حتى أنّ كاتب هذه السطور تعرّض لمحاكمة قانونية من أحد دبلوماسيي هذه السفارات الداعمة للعلمانية بتهمة تشويه السمعة والكذب، لكنّ -ولله الحمد- ردّ الله كيدهم خاسرين.

وكان الاتحاد السوداني يحرك الشعب بمشاركته في عدة فعاليات سياسية خلال السنوات الأربع الماضية وما يزال يطالب باتحاد القوى الإسلامية والوطنية لمجابهة هذا المخطط العلماني الخبيث، واستغلال الالتفاف الشعبي حول الجيش ضد المشروع العلماني في دعم الاتجاه الإسلامي والاجتماع على تحكيم الشرع، والحفاظ على إسلام المجتمع وقيمه، كما قال -تعالى-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقبل اندلاع هذه الحرب بيوم شاركت -نائب رئيس الاتحاد- في ندوة كبرى منشورة للتحذير من هذه الواقعة. وكذلك أصدر الاتحاد بيانًا بعد يومين من بداية الأحداث، طالب فيه بقتال الفئة الباغية التي خرجت لخدمة المشروع العلماني، ولأهل العلم أسوة في شيخ الإسلام ابن تيمية الذي تصدّى لقيادة المجتمع المسلم في الشام لما حصل فراغ في الدولة وقادهم لقتال العدو ومحاربة المنافقين والملحدين.

قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ وَكَوَرُودُهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْأَنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

**بينات : شكر الله لكم فضيلة الشيخ، ووفق الله مساعيكم ومساعي كل الخيرين، لتجنب السودان كيد الكائدين ومكر الماكريين.**

# انتخابات تركيا

## تحديات وأولويات



د . محمد يسري

من خارج حزبه قال -مستشعراً تحديات هائلة-: «إن تركيا مجبرة على أن تعمل وتجتهد أكثر! ونحن -بعون الله- سنبذل قصارى جهدنا لتحقيق أهدافنا». ونبّه إلى أنه سيبنى (مئوية تركيا) القادمة على أساسين من: الأمن، والاستقرار، منوهاً بأنه سيتقدم بخطوة جديدة في تعديل الدستور بمقترحات تُقدّم إلى البرلمان! متمنياً أن تتعلم المعارضة الدرس مما حصل، فتراعي مصالح البلاد، خصوصاً فيما يتعلق بالأمن القومي، واعدًا بحلّ مشكلات الجماهير من غلاء الأسعار، ومبشراً بتطوير الحد الأدنى للأجور.

**اختار** أردوغان أن يلقي خطاب النصر بعد دخول يوم ٢٩ مايو، مع كون النصر قد ظهر وأُعلن قبل ذلك بساعات؛ ليوظف ذكرى فتح القسطنطينية الذي تزامن مع نصره الانتخابي السابع عشر على التوالي، بدون هزيمة! ووقف مذكراً بحديث فتحها، ومستلهماً النصر بأدوات فتح ثانٍ! وهو ما يزال يذكر كلمات شيخ له من العرب سأله عن رأيه في إنجازاته قبل بضع سنوات، فقال له: فاتح جديد! فأصبح الناس يومها لا يدرون بأيّهما يفرحون: بتجديد العهدة الأردوغانية، أم بذكرى فتح القسطنطينية؟! لقد مثلت الانتخابات التركية في جولتها الثانية تأكيداً لاختيار إسقاط الاستبداد والديكتاتورية! كما أكّدت على انتصار الهوية، وتحقق النجاح بنسبة حقيقية، لم تخرج عن معهود الدول الديمقراطية في هذا العالم، بما لم يدع لمدّع إفكاً أو بهتاناً! وبعد أن أعلن أردوغان عن تشكيل حكومته بأغلبية وجوه جديدة من حزبه، وبحضور ملحوظ لكفاءات



تلك كانت مجرد إشارات إلى التحديات الهائلة التي ترتبت على انتخابات أگدت -بإجمال- الفوز الصعب للرئيس وتحالفه السياسي.

أما تفصيل تلك التحديات، وترتيب تلك الأولويات فهذا ما نتناوله في هذه المقالة بما يجلي الصورة، ويفصح عن مسارات الأولويات.



### أولاً: الانقسام حول الهوية:

لقد بات واضحاً أن أحد أكبر التحديات التي تواجه تركيا في مؤيتها المقبلة هو: الانقسام الحاد حول هوية تركيا، التي تزيد أعراقها عن ثلاثين عرقية، وقد لوحظ أن (التصويت الأيديولوجي) كان حاضراً بقوة، وأن (حزب الشعب) قد استطاع أن يضيف إلى كتلته التصويتية الثابتة كتلة حليفة من الحزب الكردي المعارض (نحوًا من ١٢٪) من غير كتلتهما التصويتية، ما يعني: ضعفًا ملحوظًا للمؤسسات الدينية-الرسمية، وغير الرسمية- في تقوية ارتباط الأتراك بهويتهم الدينية السنية!

وأن نسبة مقدرة من عامة الشعب السني تستجيب للنزعات القومية والتغريبية، وربما تقدمها على مفاهيم دينية بدئية؛ كالولاء لأهل الإسلام والسنة، والبراء من أهل العلمانية والباطنية والبدعة!

كما أشارت نتيجة انتخابات الرئاسة إلى وجود حالة من التصالح مع العلمانية، واشتراك رسمي وشعبي ومعارض في تقدير رأسها التاريخي، وأن هنالك محاولات لأسلمتها، وإعادة تعريفها بما لا يجعلها مستنكرة!

وقد ساهم في هذا التضييل بعض الشخصيات ممن ينتسب للدعوة إلى الإسلام، وأحزاب يغلب عليها المزاج الإسلامي!

لقد تمكنت الباطنية من تنظيم صفوفها، وتحالفوا مع العنصرية الكردية، والتقوا مع الأحزاب القومية المتطرفة، كما لوحظ صعود القوميين بشكل عام، بما يجعل من هذه التركيبة الشعبية تهديدًا للتجربة الأردوغانية!

بل قد يذهب البعض إلى أن القوميين المتحالفين مع حزب العدالة والتنمية قد يطمعون في إرثها، بعد غياب نجم أردوغان!

وبشكل عام فإن السعي في تخفيف حدة هذا الانقسام من أهم ما يجب العمل عليه داخليًا، والنجاح في التغيير الفكري والعقدي والمنهجي، وبناء الولاءات على أساس من الإسلام، لا القومية، ولا الطائفية- هو أكبر ضمانة لتقليل أثر التصويت على أساس أيديولوجي، أو طائفي، أو مصلحي دنيوي؛ ليحل محل ذلك رعاية الاعتبارات الإسلامية في الاختيارات السياسية، مع أن الصلات والعلائق القومية والعرقية مرعية، بما لا يتعارض، ولا يتقدم على الهوية الإسلامية. قال تعالى: { ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم } [الحجرات: ١٣].

وهنا يأتي عملٌ مستحقٌ للدعاة والعلماء والمؤسسات الدينية والتربوية والشبابية جنبًا إلى جنب مع المؤسسات الإعلامية والثقافية؛ ليتكامل التوجيه الديني مع العمل السياسي في مواجهة الاستقطاب السياسي والطائفي شديد الخطورة، وإحداث تصالح مجتمعي أساسه الإسلام المحض.

### ثانيًا: الاجتهاد في استيعاب الجماهير المخدوعة والشرائح القريبة من المعارضة، واحتواؤها في مشروع: (قرن تركيا):



هائلة! ومفاسد متحققة، وقهراً وفساداً لا يرضاه عاقل.

والسياقات الزمنية والمكانية التي خاضتها التجربة الأردوغانية لا تسمح لها بأكثر من ذلك، والفرق واسع بين حال الاستضعاف والاستخلاف، وبين أحكام الضرورة والافتقار وأحكام السعة والاختيار! وأن المناورة السياسية على أرضية علمانية معسكرة يسوغ لها ما لا يسوغ على أرضية إسلامية مدنية! وأن الواقع بطبيعته ليس جامداً ولا ثابتاً، وإنما التغيير يسري في المجتمعات بحركة دائبة، وإن كانت بطيئة، وأن قرون الفساد والانحلال لا تصلح بقرار سياسي، أو سيادي، وأن التدرج سنة إلهية في التغيير والإصلاح لا يجوز مع العجز تجاوزها، وإلا فإن من حمّل الناس على الخير جملةً أوشك أن يتركوه؛ بل يُسقطوه جملةً!!

ومتى اصطبغ المزاج الشعبي بالإسلام فإن التحول إلى استكمال ما نقص سيكون ميسوراً.

### **ثالثاً: تمكين الشباب وتسليمهم مسئولية مرحلة ما بعد أردوغان:**

فلا بد من تحضير جيد لأولئك الشباب على مستوى الحزب والأمة؛ ليكونوا عماد مشروع تركيا ما بعد أردوغان، وإذا تحقق كسب هذه الشريحة للمئوية المقبلة؛ فإن هذا يعني: كسب الفئة الأكثر تأثيراً، والأقدر على مواصلة الطريق، والسنوات الخمس المقبلة ينبغي أن تشهد بناءً لرموز جديدة تمثل المشروع، وتسعى في استكمال مسيرته.

ولا يتأتى هذا إلا بدعم القطاع التعليمي بكل مراحل، وتكثيف محتوى الهوية في المقررات الدراسية، والمحاضن التربوية، وتفعيل أدوات الدولة كافةً في تعزيز الانتماء للمشروع الذي يحمل الإسلام، وذلك عبر وزارات ومؤسسات



إن الشرائح التي جرى استغواؤها من قبل المشروع العلماني الباطني المتحالف مع غلاة القوميين يمكن أن تجد في مشروع التحالف المقابل بغيتها، من حيث مواجهة التحديات الاقتصادية، وغلاء الأسعار، وتيسير سبل الحياة، وذلك بما يصرفها عن التصويت العقابي لأجل انهيار الليرة، وتدني مستويات الدخل الخاص بالأفراد.

إن هذه الكتلة الرخوة إذا وُجّهت لها العناية الكافية عبر برامجٍ تحتوي جهودها، وتربطها بمشاريعٍ إنتاجيةٍ ناجحة، وقدرٍ من التوجيه الديني عبر مشاريعٍ تربويةٍ تستوعب كثيراً من الشباب والفئات المهمّشة- فإن ذلك سيفضي إلى كسبها للمشروع الإسلامي دينياً وسياسياً.

وفي مقابل هذه الشرائح المخدوعة علمانياً وطائفياً هناك شريحة صغيرة تقاطع المشاركة لاعتراضها على الأداء السياسي من وجهة نظر شرعية! فهي تُعدُّ هذه الممارسات علمانيةً مرفوضةً، وبالتالي لا تشارك ولا تدعو أحداً لأن يشارك، وهي شريحة محدودة، لكنّ تصحيح نظرها مطلوب؛ إذ الشرع والعقل يؤكّدان عدم العدول عن نور فيه ظلمة إلى ظلمة لا نور فيها، وأن الأمور بمقاصدها، وبمآلاتها، وأن تقليل الشر وتكثير الخير مقصدٌ من مقاصد الشريعة، وأن الله لا يؤاخذ عند الاضطرار إلى المحرمات، وأن التغيير السياسي ليس هو كلّ التغيير المطلوب والواجب، والتأكيد على أن البديل عند الاعتزال لن يكون إلا العلمانية الباطنية المتحالفة مع اليهود والنصارى، ما يعني: انتكاسةً

### رابعًا: تنتظر الأمة الإسلامية من التجربة الأردنية مشروعًا إسلاميًا أمميًا وحلولاَ شاملة:

لا شك أن المنطقة العربية والشعوب الإسلامية تنظر بفخر إلى التجربة التركية، لا سيما تلك الشعوب التي تنطق بالتركية في آسيا الوسطى والقوقاز وغيرها. وهي جميعًا تنتظر مزيدًا من تقوية الصّلات وشدّ أواصر العلاقات، وإقامة مشاريع كبرى تنتهي بتحقيق نهضة الأمة الشاملة.

وجزءٌ من تلك الآمال التي لا تتجزأ إحداهُ توازنٌ سياسي واستراتيجي في المنطقة العربية؛ بحيث ينأى بالنظم العربية والإسلامية من الانبطاح للمشروع الغربي، ويسعى لإيجاد تحالفات أخرى، تُبنى على مزيد من التحرر والاستقلال، وتهيئ العالم العربي والإسلامي للخروج من حالة التبعية الاقتصادية والسياسية التي تخيم اليوم!



إن التجربة التي بدأها (مندريس)، ثم جدّدها (أربكان)، ثم بلغ غايتها (أردوغان) جديرةً بأن تتقدّم وتُقدّم للأمة خارطة طريقٍ للنهوض الحضاري، ولا شك أن نجاح التجربة داخليًا يفتح آفاقًا للنجاح الخارجي، وقد تعزّزت تركيا بممثلين عن كثير من دول العالم العربي والإسلامي، وعدّوا فاعلين في مجتمعاتها، وقادرين على نقل التجربة إلى مجتمعاتهم، مع رعاية الخصوصيات، والاعتبارات

الخاصة بتلك المجتمعات.

وما من شك أن الأمة تنظر لما قدّمته تركيا في الملف السوري والليبي وغيرها نظرة تقدير، وتنتظر المزيد ليصل أهل تلك البلاد إلى أفضل ما يتأتى لهم من خيارات، وليحموا ما بقي من دمائهم وأعراضهم، وما تحقّق لهم من مكتسبات، وقد أصبحت تركيا جزءًا من حل تلك المعضلات، واللاجئون والمهجّرون السوريون ينتظرون حلولًا شاملةً تُوجد حالةً من الرضا والالتزان بين المبادئ والقيم من جهة، والمصالح التركية من جهة أخرى.



ولا يفوت أن جالياتٍ عربيةً تأمل أن تتوسط تركيا سياسيًا لدى بلدانهم لإحداث حالةٍ من المصالحة، والمفاوضة في ترتيب أمورهم داخل بلادهم؛ وذلك نظرًا لما تتمتع به السياسة التركية من قبول ومصداقية.

وأخيرًا: فإن تركيا تمثل -اليوم- رأس قاطرة العالم الإسلامي في مجالات عديدة، والنظم العربية تنظر إلى منجزاتها، وترجو أن تحذو حذوها، ولو في بعض الملفات، ولا شك أن التعاون معها في تحالفات جادة ومثمرة سيعود نفعه الاقتصادي والسياسي على الأمة بأسرها؛ فاللهم هيئ لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من أمرها رشداً، واجعل عاقبة أمرها خيراً ويسراً ونصراً؛ إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.



# الشيعة العرب ودورهم في المشروع الإيراني

م . حسن الرشدي

في رحلة صعود الأمة الإسلامية الحالي لكي تتبوأ مكانتها في العالم؛ أداءً لمهمتها التي كلفها الله كخير أمة أخرجت للناس؛ أصبح لزاماً عليها أن تُحدّد ما هي الفرص، وما هي التحديات التي تساعد أو تُحوّل دون ذلك الصعود.

ولاشك أن قضية الأقليات داخل الأمة، من القضايا التي أثّرت تاريخياً، ولا تزال تؤثر على تماسك الأمة داخلياً، وأصبحت في بعض الأحيان معوّلاً هدم يتم استغلاله بهدف نقض أسس وجدران هذه الأمة، بل صارت خنجراً مسموماً في يد أعداء الإسلام، وجزءاً من مخططاتهم، إن لم يكن لابتلاع الأمة، فهو مُصوّب دائماً لإضعافها والنيل منها، ووسيلة لتشرذمها وتفتتها.

ونعني بالأقليات، تلك الفئات المختلفة دينياً وعرقياً ومذهبيّاً؛ فهناك المختلفون دينياً كالنصرانية واليهودية، وهناك المختلفون عرقياً كالبربر (الأمازيخ) والأكراد والزنوج، وهناك أصحاب المذاهب المختلفة مع السواد الأعظم في بلاد المسلمين والكتلة الصلبة الكبرى للإسلام وهم أهل السنة، فنجد الدروز والنصيريين والزيديين، وأخيراً الإمامية الإثني عشرية.

ونزعم أن طائفة الإثني عشرية هي أخطر تلك الأقليات التي تُواجه المسلمين، وأشدّ وبالأعلى لعدة اعتبارات؛ أهمها: نظراً لكِبَرِ عددها، ولأنّ لها دولة يختلط فيها المذهب بقومية قديمة تُكنُّ حقداً تاريخياً على المسلمين، ثم إن هذه الدولة منذ أواخر السبعينيات وبعد ما عُرف بالثورة الإيرانية، صاغت أهدافها الاستراتيجية الإمبراطورية، والتي تستند على المذهبية بطريقةٍ تحاول فيها التمدد والتوسع على حساب أمتنا وعقيدتها.

وصاغت تلك الدولة مشروعها بعناية فائقة، لتضع نفسها في مربع الصراع الدولي والعالمي، وتُناطح الدول الكبرى؛ مُحاولَةً استعادة أمجاد فارس؛ لتنتقم من الأمة التي مَحَت عرش كسرى، فاستطاعت التحكم في القرار السياسي لعواصم وحواضر عربية كبرى.

فمن ذا الذي كان يتصوّر أن تتحكم إيران في بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء؟

وسنحاول في هذا المبحث القصير دراسة رافدٍ مهمٍّ من روافد استراتيجية هذه الدولة المذهبية، وأحد أذرعها في التمدد، بل قل حصان طروادة، ألا وهو الشيعة العرب.

وللإحاطة بتلك الظاهرة؛ ينبغي البحث في ثلاثة عناصر:

- الشيعة العرب تاريخ وجغرافيا وإحصائيات.
- موقع الشيعة العرب في الاستراتيجيات الإيرانية.
- استراتيجية مقترحة لتعامل أهل السنة مع تلك الظاهرة.

### الشيعة العرب ... الديموغرافيا والواقع

تبقى الإشكالية الكبرى في دراسة الشيعة العرب؛ تتمثل في تحديد: مَنْ هم الشيعة؟ ومن يندرج تحت هذا المصطلح؟

في مختار الصحاح<sup>(١)</sup>: «شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، وتشيع الرجل ادّعى دعوى الشيعة، وكل قوم أمرهم واحد، يتبع بعضهم رأي بعض فهُم (شِيعٌ)». أما اصطلاحاً، فقد عرّفه الشهرستاني في كتابه الملل

(١) - محمد بن أبي بكر الرازي - مختار الصحاح - وزارة المعارف المصرية - المطبعة الأميرية بالقاهرة - ١٩٥٠ - ص: ٢٥٣.

(٢) - الشهرستاني - الملل والنحل - دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية: ١٩٩٢ - الجزء الأول - ص: ١٤٤-١٤٥.

(٣) - <https://cutt.us/KMWtc>

والنحل<sup>(٢)</sup> بقوله: «الشيعة هم الذين شايعوا عليّاً -رضي الله تعالى عنه- على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصيةً، إما جليّاً وإما خفيّاً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فيظلم يكون من غيره أو بكبوة من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تُنَاط باختيار العامة، وينتصب الإمامة بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسول -عليهم الصلاة والسلام- إغفاله وإهماله، ولا تسليمه إلى العامة وإرساله.

وتثبت عندهم عصمة الأئمة وجوباً عن الكبراء والصغائر والقول بالتولي... ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك، ولهم في تعديّة الإمامة خلاف وخلاف كثير، وعند كل تعديّة وتوقف مقالة، ومذهب وخطب، وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال،

وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه...» اهـ. أما الشيخ ابن باز<sup>(٣)</sup> -رحمه الله- فيقول عن الشيعة المعاصرين: «يُنظَر في عقائدهم بالتفصيل، ولا يقال الشيعة كلهم كفار، لا، بل فيهم تفصيل، وهم أقسام كثيرة.

ولكن أخطرهم الرافضة أصحاب الخميني، هؤلاء أخطرهم، وهكذا النصيرية أصحاب حافظ الأسد وجماعته في سوريا، فالباطنية الذين في سوريا، والباطنية الذين في إيران، والباطنية في الهند وهم الإسماعيلية هذه الطوائف الثلاثة هم أشدهم وأخطرهم.

ومنهم الزيدية المعروفون في اليمن، هؤلاء عندهم التفصيل ليسوا بكفار إلا مَنْ عبَد الأوثان، ومنهم مَنْ غلا في أهل البيت، ودعاهم من دون الله، أما مجرد تفصيل عليّ على الصّدّيق وعلى عمر لا يكون كُفراً، ولكنه بدعة وغلط...» اهـ.

ونحن في هذا المبحث القصير سنقتصر على الشيعة الإمامية الإثني عشرية والتي تقود الدولة الإيرانية في حاضرنا المعاصر، وبالتحديد مَنْ اعتنقوا هذه

ولنبداً بالعراق؛ فقد تم آخر تعداد سكاني عام ١٩٨٧م، الذي اشتركت فيه جميع المحافظات، تبعه إحصاء عام ١٩٩٧م الذي أُجري دون مشاركة محافظات إقليم كردستان، ولم يتم فيه ذِكر نَسَب المذاهب والديانات في العراق.

وظلت البلاد طيلة السنوات الماضية مُعتمدة على الأرقام الإحصائية التقريبية الصادرة عن مؤسسات ومراكز أبحاث غير رسمية تُعنى بهذا الشأن، قبل أن تصدر تقديرات وزارة التخطيط في عام ٢٠٢٢م بأن عدد سكان العراق بلغ أكثر من ٤٢ مليون نسمة، ولم يذكر فيه أي أرقام خاصة بنسب المذاهب.

ولكن في دراسة علمية عميقة أصدرها الدكتور طه الدليمي بعنوان (الحقيقة الكاملة لأعداد سكان العراق: سُنّة وشيعة)<sup>(٢)</sup>، ذكر فيها أن أدواته في البحث كانت بناء على المعرفة الشخصية المبينة على المعيشة الاجتماعية والخبرة الواقعية والسؤال والبحث والتثبت من خلال الآخرين، كما قارن نَسَب وكثافة السكان في كل محافظة عراقية بحسب الإحصاءات الرسمية، وتوصل إلى النتيجة النهائية التقريبية: أن نسبة أهل السنة في العراق تبلغ حوالي ٥٣٪، بينما تبلغ نسبة الشيعة حوالي ٤٣٪، أما نسبة الأقليات الدينية الأخرى فتبلغ ٤٪. وفي لبنان، أجرت الشركة الدولية للمعلومات عام ٢٠١٥م دراسة معمّقة نشرتها عبر موقعها على الإنترنت<sup>(٣)</sup>، تبين فيه أن الطائفة الشيعية في المرتبة الأولى من حيث العدد، وشكلت نسبة ٣١,٦٪ من اللبنانيين، وجاء السُنّة في مرتبة متقاربة، وشكلوا نسبة ٣١,٣٪.

أما في البحرين، فالمصادر الغربية تعظم من نسبة الشيعة، وتصل بهم في بعض الأحيان إلى ٧٠ أو ٨٠٪ من عدد السكان.

ولكن في وثيقة<sup>(٤)</sup> صادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء والمعلومات التابع لمجلس رئاسة الوزراء

العقيدة من العرب. ولا شك أن هناك عدة إشكاليات في تعداد الشيعة العرب؛ منها: تعريف الشيعة، وتعدد مذاهبهم كما أسلفنا، ومنها غياب الإحصاءات العلمية أو الصادرة من جهات رسمية تحدّد في العلن خطوات التعداد. ومن أجل ذلك لا توجد إحصاءات رسمية تضع عدداً دقيقاً للشيعة في البلدان العربية، ولكن مركز بيو للدراسات، وهو مركز أبحاث أمريكي غير حزبي -يشير إلى نفسه على أنه مركز حقائق- وضع دراسة تفصيلية حول الدول التي يتجاوز فيها عدد المسلمين عتبة المليون، وقدّر عدد الشيعة في العالم بـ ١٥٤ إلى ٢٠٠ مليون نسمة، هكذا إجمالاً، ولكنّه لم يتطرق إلى نسبة الشيعة في كل دولة.

أما مركز كارنيجي، وبالتحديد نشرة الإصلاح التابعة له؛ فقد أصدرت دراسة بعنوان الشيعة في العالم العربي<sup>(١)</sup>، ووضعت أرقاماً، ولكن وصفتها بأنها تقريبية، فمثلاً ذكرت أن نسبة الشيعة في المملكة العربية السعودية يشكلون ما بين ٨ و ١٠ بالمائة من السكان، وأن شيعة البحرين يمثلون نحو ٦٠ بالمائة من السكان المحليين، وتبلغ نسبتهم في الكويت نحو ٢٥ بالمائة من السكان، أما في لبنان فتصف دراسة كارنيجي بأنهم هم أكبر جماعة طائفية منفردة؛ حيث تبلغ ٤٠ بالمائة تقريباً، وفي العراق تقول نشرة المركز بأن نسبتهم ٦٠٪ من السكان.

والحقيقة أن أرقام كارنيجي تلك، لا تستند إلى منهجية علمية، أو حتى غير علمية. ولكن بنظرة موضوعية على خارطة الشيعة الإمامية العرب؛ نجد أن هناك ثلاثة بلدان يجري التحدث عن وجود كتلة لا بأس بها من الشيعة فيها، وهي: العراق ولبنان والبحرين.

إثنان من هذه البلدان، تمتد بسواحل على الخليج العربي أو تجاور الحدود الإيرانية مركز الإمامية، أما لبنان فلها وضع آخر مختلف ومغاير.

(١) <https://carnegie-mec.org/2008/08/31/ar-pub-21762>

(٢) ملخص الدراسة على هذا الرابط <https://www.albayan.co.uk/article2.aspx?id=2950>

(٣) <https://cutt.us/EXqPE>

(٤) <https://cutt.us/sB1C3>

البحريني عام ٢٠١٠م، ونشرها موقع الجزيرة نت، تبين أن نسبة المواطنين السنة من إجمالي مواطني البلاد تعادل ٥١٪، في حين توقفت نسبة الطائفة الشيعية عند ٤٩٪، وذلك نتيجة لدراسة قام بها فريق بحثي خاص خلال الفترة من ٤ يوليو وحتى ١٥ نوفمبر ٢٠١٠م.

واستند الفريق البحثي لتحديد التركيبة الطائفية على عدة خطوات إجرائية؛ منها تحليل الوثائق والدراسات التاريخية والمسح الميداني بأسلوب المقابلة البحثية، وتحليل بيانات سجلات إدارة الأوقاف السنوية، وتحليل سلاسل العائلات وعلاقات الزواج والأقارب من قاعدة بيانات الجهاز المركزي للمعلومات، بالإضافة إلى تحليل عقود الزواج الموثقة في وزارة العدل والشؤون الإسلامية، وخاصة حالات التزاوج بين الطائفتين، والتحول من طائفة إلى أخرى، وأخيراً بيانات الأجهزة الأمنية والاستخباراتية. وأشارت الوثيقة الرسمية إلى أن عوامل الجغرافيا السياسية للبحرين -وهي أرخبيل من الجزر- ساهمت في تحويلها إلى مركز للهجرات الإقليمية من دول الجوار، فانتقل إليها الآلاف من الساحل الشرقي لإيران والقطيف والأحساء من أتباع الطائفة الشيعية، مما ساهم في ارتفاع نسبتهم السكانية. من هنا يتبين لنا عدم صحة ما يتردد عن أعداد الشيعة العرب في ثلاثة بلدان عربية دائماً يُثار حولها أقاويل عن تزايد نسب الشيعة فيها، وأن لهم غالبية فيها، ولكن يبقى أن الشيعة في هذه الدول الثلاثة كتلة ضخمة شديدة الأهمية؛ بالرغم من أنها ليست غالبية السكان.

### الشيعة العرب وتصدير الثورة

بنى النظام الإيراني أساسه الفكري منذ وجوده عام ١٩٧٩م على قاعدتين: تسيّد المذهب الشيعي للعالم الإسلامي، والثورية... وتمثل ذلك في مصطلحي:

عقيدة الولي الفقيه، وتصدير الثورة. ومنذ الإطاحة بنظام الشاه عام ١٩٧٩م، استعمل الخميني مصطلح «تصدير الثورة» أكثر من مرة، حتى أن أنصاره جمعوا كلامه عن التصدير تلك في رسالة، وأطلقوا عليها «تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني»، وورد في هذا الكتيب عبارات كثيرة منها «إننا نعمل على تصدير ثورتنا إلى مختلف أنحاء العالم».

ويعني الخميني بمصطلح تصدير الثورة محاولة نقل نموذجه (جمهورية النظام الإيراني الجديد) إلى الدول المجاورة، وتوسيع نطاق نفوذه الاستراتيجي. ويرى الباحث أسامة شحادة<sup>(١)</sup> أن الثورة هي مبدأ حزب الخميني، كما قال علي خامنئي حينما سُئل عن البرنامج الاقتصادي والاجتماعي والسياسي؟ فقال: «أول أهداف حزبنا هو بثّ التوعية الإسلامية السياسية، والتربية الثورية بين صفوف الشعب الإيراني، ولأجل هذا الهدف والغاية، أنشئت التنظيمات الداخلية والخارجية الخاصة بتصدير الثورة على أسلوب العمل الثوري الانقلابي، وقامت بالعديد من الأعمال في لبنان والكويت والسعودية، وأقامت العلاقات مع أغلب الحركات الإسلامية السنّية التي كانت في حالة صراع مع الأنظمة القائمة».

ومع بُعد زمن الثورة، يظن البعض أن الثورة قد تحوّلت إلى دولة، وغلب الطابع السياسي البراجماتي على الطابع الثوري، ولكن يعود الساسة الإيرانيون ليعلنوا تمسكهم بالنهج الثوري، الذي من أبرز خصائصه رغبتهم وعملهم على تصدير الثورة.

ففي سياق الاحتفالات بذكرى الثورة الإيرانية في عام ٢٠١٥م، أعلن قائد فيلق القدس في الحرس الثوري اللواء قاسم سليماني (قبل اغتياله)، أن «مؤشرات تصدير الثورة الإسلامية باتت مشهودة في كل المنطقة؛ من البحرين والعراق إلى سوريا واليمن، وحتى شمال إفريقيا»؛ ففي كلمة له في مدينة كرمان (جنوب شرق البلاد) بمناسبة الذكرى

(١) - أسامة شحادة - دراسة في الأسلوب الجديد لتصدير الثورة الإيرانية - موقع الراسد - ٢٠٠٨/١٠/٤  
[http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected\\_article\\_no=4574](http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4574)

الـ٣٦ لانتصار الثورة الإسلامية أشار سليمان إلى الإنجازات الفريدة للثورة الإسلامية، وقال: «إن الاستكبار والصهيونية العالمية، ومن خلال هزائمهما المتوالية أمام جبهة المقاومة أقرًا بعجزهما واقتدار الجمهورية الإسلامية الإيرانية أكثر فأكثر».

ولذلك سيظل مستقبل النظام الإيراني رهونًا بالحالة الثورية التي يحاول أن يُوجِّهها في نفوس مناصريه في الداخل والخارج ليُجيش بها الجموع لخدمة مشروعه.

ولكن ما موضع الشيعة العرب في تلك الاستراتيجية؟

تنظر إيران للشيعة في المنطقة العربية، بمنظور أنهم أداة لتمدُّدها الإقليمي في المنطقة، باعتبارهم خطوة مرحلية تُمكنها من الصعود إقليميًا مرحليًا قبل أن تأخذ خطواتها الكبرى في المنافسة مع الكبار، وأخذ موضعها كقوة كبرى تنافس على الزعامة والهيمنة، ومن ثم الوصول إلى الحلم الفارسي القديم، وإن كان تسربل الآن بالغطاء الطائفي.

نجحت إيران وفق هذه الاستراتيجية في السيطرة على القرار السياسي في العراق وسوريا ولبنان واليمن، وكان الذراع البارز في تلك الاستراتيجية هم الشيعة العرب؛ حيث اخترقت هؤلاء بواسطة أحزاب وميلشيات وجمعيات، وبالتمويل السخي والسلاح المنوع، وبالحرص الثوري الإيراني وفيلق القدس وعشرات من دور النشر، والجمعيات الخيرية والتي تقدم خدمات تعجز الحكومات السنية في أحيان كثيرة عن تقديمها لهؤلاء.



(١) - خسائر الحرس الثوري الإيراني تفتح ملف نشاطه الممتد خارج الحدود- موقع نون بوست: ٢٠١٦/١/٢٣م: <https://www.noonpost.com/content/9917>

وكمثال على استخدام الشيعة العرب كأداة إيرانية، يرصد تقرير صحفي<sup>(١)</sup> توغَّل الحرس الثوري في عددٍ من الدول العربية؛ حيث تتهم دول خليجية الحرس الثوري الإيراني بتهريب مواطنين شيعة من الخليج إلى معسكرات تابعة له، لتتم عملية تجنيدهم، ومن ثم إعادتهم إلى بلدانهم في الخليج بأجنادات تخريبية، كما تم رصد عملية تدريب الأجانب المقاتلين في سوريا والعراق؛ حيث مواقع ومعسكرات التدريب للحرس الثوري والمخابرات الإيرانية، منها معسكرات الإمام عليّ في شمال طهران ومعسكر أمير المؤمنين في كرج غرب طهران، وكذلك في مرصاد شيراز أحد أهم مراكز تدريب المقاتلين الأجانب، ومنهم عرب وأفغان وشيشان، وكذلك الأمر في لبنان بمدينة بعلبك، وفي سوريا توجد معسكرات بمدينة حمص، وصولًا إلى إريتريا التي تعد مركزًا لتدريب وتمويل الحوثيين في اليمن.



وقد صدر تقرير أممي تابع لمجلس الأمن يؤكد ضلوع الحرس الثوري الإيراني في تدريب قوات الحوثيين في جزيرة صغيرة تقع قبالة الساحل الإريتري، حتى إن بعض التقارير أكدت أن معسكرات الحرس الثوري الإيراني امتدت حتى مقاطعة الواهيرا المنطقة الحدودية النائية بين فنزويلا وكولومبيا في أمريكا اللاتينية، كما قام الحرس الثوري الإيراني بتدريب عشرات الشيعة المغاربة قبل إرسالهم للقتال في عدة جبهات يشارك فيها الحرس الثوري في عدد من البلدان، حيث يُشار إلى أن أغلب هؤلاء الشيعة المغاربة قدموا من الدول

الأوروبية، ويحمل أغلبهم جنسيات مزدوجة سهّلت تنقلاتهم.

وبمرور الوقت سيطرت إيران على الحالة الشيعية في أماكن وجودهم في المنطقة العربية.

### استراتيجية للتعامل مع الحالة الشيعية العربية

يلزمنا لصياغة استراتيجية مناسبة للتعامل مع هذا الملف إدراك أولاً معنى الاستراتيجية.

الاستراتيجية في بعض استخداماتها هي تعبير عن التوجّه العام، أو المسار الذي يربط بين الأهداف العامة المرتبط منها بالغايات وبين النقطة التي نقف عندها. أي: هي انتقال الوحدة محل الدراسة بين واقع حاليّ وواقع مأمول، وكل ذلك مبنيّ على تشخيص حقيقي للواقع يستفيد من الفرص، ويعزز مواطن القوة، ويحارب التهديدات، ويعالج مواطن الضعف، كذلك تتوافر فيه رؤية وغاية نهائية ووضعية تميز الوحدة عن غيرها بمجموعة من الأهداف والغايات تحقق هذه الرؤية.

فصياغة الاستراتيجية تقتضي دراسة عدد من الأشياء في واقع معين، متضمنة دراسة الذات، ودراسة الطرف الآخر المواجه، ودراسة الأرض أو المجال الذي يتم الصراع فيه، ودراسة الظروف المحيطة بالصراع، وتحديد البدائل والوسائل التي يمكن بها تحقيق الهدف المنشود والمفاضلة بين هذه البدائل، واختيار البديل الأمثل للوصول إلى الأهداف.

### إذا تأملنا وضع الشيعة العرب نجد الآتي:

١- كونهم كتلة سكانية ضخمة بصرف النظر عن أنهم أغلبية أم لا.

٢- أن إيران تستخدمهم لتحقيق أهدافها واستراتيجيتها، وتتمدد بهم استراتيجياً في مناطق تمثل حواضر لأهل السنة مثل بغداد ودمشق وبيروت وصنعا.

٣- نسبة كبيرة لا يُستهان بها من الشيعة العرب كارهة للدور الإيراني في المنطقة، وتتمنى الخلاص منه، وتعود إلى حاضنتها العربية بمنظور وطني أو

قومي أو حتى منفعي.

هذه العناصر الثلاثة يستطيع بها أهل السنة كجماعات ومؤسسات وهيئات وأفراد وشيوخ وعلماء تحويلها إلى فُرص مُواتية لقطع دابر الاستراتيجية الإيرانية... كيف ذلك؟

**أولاً:** تأسيس مراكز تُؤهل شباب السُّنة في العِلْم بالعقيدة الصافية، وأصول المجادلة، وفنّ الإقناع، والرد على الشبهات التي يُلقبها رجال الدين الشيعة في نفوس العوام؛ لاستمالتهم وعودتهم مرة أخرى إلى صفوف السنة.

**ثانياً:** التحالف السياسي، وكسبهم إلى صَفِّ السنة، وبيان خطورة المد الإيراني ليس على السنة العرب فقط، بل على الشيعة أنفسهم، مع الشرح -المعتمد على الأدلة والوثائق- لطرق تحالفهم مع أعداء الأمة من اليهود والنصارى وغيرها من الملل والنحل، ضد مصالح العرب ونهب خيراتهم.

بالعمل الدؤوب والنية الخالصة، يمكن العمل على عودة طوعية للشيعة العرب إلى عقيدة أهل السنة، أو على الأقل ترك الارتقاء في الأحضان الإيرانية.





أنور الخضري

## أثر التقارب السعودي الإيراني على الواقع اليمني

باتت السعودية وإيران طرفين إقليميين منخرطين في الصراع اليمني والحرب الدائرة منذ عامي ٢٠١٤م و٢٠١٥م، عقب استيلاء جماعة الحوثي على العاصمة اليمنية صنعاء، وانقلابها على السلطة الشرعية، وإعلان الرياض عن «عاصفة الحزم» العسكرية، تحت لافتة «التحالف العربي لاستعادة الشرعية». ومن ثم تحولت الساحة اليمنية لصراع بالوكالة بين السعودية وإيران. ورغم حشد السعودية عدداً من الدول العربية تحت مظلة «التحالف العربي»، بل وبعض الدول الإسلامية، ومشاركة كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية؛ إلا أنها عجزت عن تحقيق الأهداف التي أعلن عنها «التحالف العربي»، لأكثر من ثماني سنوات من الحرب. و عوضاً عن نجاحها؛ تعرضت السعودية لإخفاقات عديدة، حتى طال تهديد جماعة الحوثي لها عدداً من المدن والمصالح الاستراتيجية في العمق السعودي. وفي المقابل، ظلت جماعة الحوثي مهيمنة على مناطق نفوذها في شمال اليمن، وصامدة أمام ما تصفه بـ«العدوان السعودي» على اليمن، دون أن تفقد قدرتها على السيطرة والدخول في مواجهات مسلحة مع خصومها، المنخرطين في تحالف مع الرياض!

في هذه الورقة نناقش كيف انتهى الموقف السعودي للتسليم أمام قوة إيران، وسعيها نحو التصالح معها،

ومع القوى الموالية لها في المنطقة، وأثر ذلك على القضية اليمنية.



### إخفاقات السعودية وفشلها:

سبق التقارب السعودي الأخير مع إيران، إخفاق السعودية وفشلها على عدة محاور. فعلى صعيد العراق فشلت السياسة السعودية في القضاء على هيمنة القوى الشيعية على النظام السياسي هناك، عقب سقوط بغداد عام ٢٠٠٣م، في قبضة الغزو الأنجلو-الأمريكي للعراق، بتعاون من قبل دول خليجية، من أبرزها السعودية. وأصبحت العراق منذ ذلك التاريخ محل نفوذ لإيران والقوى الشيعية العراقية الموالية لها. في حين عملت إيران والقوى الموالية لها على تهميش السنة ومحاربتهم، وإقصائهم عن مواقع صنع القرار والتأثير، وتهجيرهم من مناطقهم، وإلصاق تهم «الإرهاب» بأبنائهم، وتدمير مدنهم وقراهم، على مدى عقدين كاملين. أما في سوريا، فقد خذلت السعودية القوى الثورية السورية المعارضة لبقاء نظام بشار الأسد، البعثي النصيري؛ بل عملت على إضعافها من خلال اتباع سياسة القوى الغربية التي عمدت لتشكيل الواقع السوري بما يُعطّل ثورته السلمية ومسار العمل المسلح لإسقاط نظام بشار الأسد كما جرى في ليبيا، في مفارقة عجيبة! فقد أسهمت السعودية في تفريق وتشتيت الصف الثوري، واختراقه، وتركيعه أمام الضغوط الدولية. وأصبحت سوريا مسرحاً للقوات الروسية والمليشيات الطائفية القادمة من إيران والعراق ولبنان وغيرها من الدول ذات الحضور الشيعي.

وعلى صعيد لبنان؛ كان «حزب الله» المستفيد الأكبر من سياسات النظام السعودي المتذبذبة والمتخاذلة؛ حيث أصبح مهماً على مؤسسات الدولة اللبنانية بالتّحالف مع القوى المسيحية واليسارية، ويستفيد من خلال تغلغله ذلك من المعونات السعودية المقدّمة للحكومة اللبنانية دون غيره من القوى. في حين لا يتلقّى السنة في لبنان أي مساعدات تُذكر من جانب الرياض لتعزيز حضورهم ونفوذهم على مستوى الدولة أو المجتمع؛ إذ لا يزالون قابعين على هامش الواقع اللبناني.

بنيًا، أسهمت سياسة السعودية والإمارات في دعم جماعة الحوثي -بحسب تصريحات اللواء السعودي المتقاعد/ أنور عشقي- لإسقاط صنعاء عام ٢٠١٤م، والقضاء على حزب «التّجمّع اليمني للإصلاح»، أكبر الأحزاب الإسلامية في اليمن وأكثرها انتشارًا وحضورًا؛ إذ يُمثّل الرّافعة السياسية السّنية في البلاد؛ وفي حثّ «صالح» للتّحالف معها. ونتيجة انسحاب «الإصلاح» عن المواجهة، وسعي جماعة الحوثي لابتلاع الدولة، وقبول «صالح» للتّحالف مع إيران في سبيل عودته للسلطة؛ شعرت السعودية بخطأ سياستها، واعتمدت نهج التّدخل العسكري المباشر. وبرغم ذلك؛ ظلّ عداء السعودية لـ«الإصلاح» البوصلة التي تقود سياستها في مواجهة الحوثيين، ما دفعها لتمكين قوى اليسار، ممثلة في «المجلس الانتقالي» الجنوبي، والذي سبق أن كانت رموزه متحالفة مع إيران للحصول على دعم منها في سعيهم لانفصال الجنوب. وقد عمد «المجلس الانتقالي» إلى تعطيل عملية التّحرير باتجاه صنعاء، ومحاربة الحكومة الشرعية، وعدم تمكينها من مزاولة مهامها ووظائفها من العاصمة المؤقتة عدن. وهذا بدوره أسهم في تعزيز قوّة جماعة الحوثي التي رأت لدى السعودية تراخيًا في دعم الشرعية بذريعة مواجهة «الإصلاح»، وتخبّطًا في مواقفها واستراتيجيتها تجاه الملفّ اليمني. وفي حين يقاتل الحوثيون بأقلّ

التكاليف تحمّلت الرياض نفقات الحرب التي شنتها في اليمن، والتي تجاوزت حسب كثير من التقارير سقف (٤٠٠) مليار دولار، وربما أكثر.

وهو يأتي ثانيًا في ظلّ عجز السعودية عن تغيير موازين القوى في المنطقة لصالحها، نظرًا لقيامها بحاربة الحلفاء المفترضين لها، وفقدتها لقوى حليفة بديلة مأمونة وموالية لها، وهو ما خدم في المقابل حلفاء طهران في تلك الدُول (العراق، سوريا، لبنان، اليمن). وفي حين تستثمر إيران في الجماعات والحركات الشيعية لكسب ولائها وتسخيرها في مشروعها التوسّعي في المنطقة؛ عمدت السعودية إلى معاداة الجماعات والحركات الإسلامية، والتآمر عليها، وتحطيم قدراتها الصّورية للمدافعة والممانعة.

وهو يأتي ثالثًا في ظلّ تمكّن إيران من تعزيز تدخّلاتها في العراق وسوريا واليمن، وحضورها في لبنان، منذ عام ٢٠٠٣م، وعقب موجة الثورات المضادة التي قادتها السعودية والإمارات انطلاقًا من مصر منذ عام ٢٠١٣م، والتي أدخلت المنطقة في فوضى عارمة. فقد تمكّنت إيران وأذرعها في المنطقة من نسج تحالفات مع الولايات المتّحدة (كما في العراق وشمال اليمن)، وروسيا (كما في سوريا)، وفرنسا (كما في لبنان)، وبريطانيا (كما في جنوب اليمن).



وهو يأتي رابعًا بعد وصول هجمات جماعة الحوثي إلى العمق السعودي، وتعرّض مصالحها الحيوية لمخاطر فعلية، دون أي ردود فعل دولية تتسق مع أهمية السعودية للمجتمع الغربي ومكانتها العالمية؛ حيث لم تتجاوز المواقف الغربية التصريحات المنددة والإدانان الشّفوية. وهو يأتي خامسًا في ظلّ غياب رؤية استراتيجية

”  
منذ استيلاء الحوثيين على صنعاء، وإعلان الرياض عن "عاصفة الحزم" العسكرية، تحت لافتة "التّحالف العربي"، لاستعادة الشّريعة؛ تحوّلت السّاحة اليمنية لصراع بالوكالة بين السعودية وإيران.  
“

الدّواعي السعودية للانفتاح على إيران والتّراجع عن مواجهتها:

الانفتاح الذي أطلقته السعودية باتّجاه إيران وأفضى إلى توقيع اتّفاقية ثنائية بين البلدين، في العاصمة الصّينية بكّين، مطلع شهر أبريل الماضي، ويقضي باستعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وبحث سبل التّعاون بينهما؛ جاء نتيجة مباحثات مسبقة جرت في العاصمة العراقية بغداد، والعاصمة العُمانية مسقط، وفي لقاءات ثنائية جمعت مسؤولين سعوديين وإيرانيين في أروقة مختلفة.

ويأتي الانفتاح السعودي مع إيران في ظلّ عدّة سياقات ظرفية يمكن استحضارها لقراءة أبعاد هذا التّقارب وتحليلها بمنطق واقعي صحيح.

فهو يأتي أولًا في ظلّ الانسحاب الأمريكي من المنطقة، وسحب الصّواريخ والمنظومات الدّفاعية من دول الخليج، وارتفاع كلفة فواتير الحماية التي تطالب الإدارة الأمريكية بها الحكومات الخليجية، في حين أنّها لا تعمل على إنهاء التّهديدات الإيرانية ضدّها. فدول الخليج تشعر منذ سنوات بخيانة البيت الأبيض، واستغلاله للمخاوف الخليجية من إيران في رفع كلفة فاتورة الحماية إلى حدودٍ مبالغ فيها. وهو ما دفع السعودية والإمارات للتّوجّه المباشر لمخاطبة إيران والتّفاهم معها على القضايا محلّ الخلاف.

طبيعة هذه التفاهات وما قد تقود إليه، ولم يصدر عنها أي تصريح يشير إلى إشراكها في هذه المفاوضات أو إطلاعها على مضامينها.

لقد استخدمت السعودية الأطراف اليمنية المختلفة في الإضرار بواقع اليمن وإنهاكه اقتصاديًا، وتمزيقه اجتماعيًا وسياسيًا وعسكريًا، ما يصعب على القوى الوطنية والثورية الرغبة على استئناف العملية الديمقراطية من بناء الدولة وتحقيق نهضة شاملة لليمن في فترة وجيزة كما كان يأمل الشعب اليمني عام ٢٠١١م.

وبفعل التجاور الجغرافي، والتداخل الاجتماعي، بين البلدين، وحضور السعودية التاريخي في اليمن، منذ القرن الماضي، ونتيجة الثقل الاقتصادي الذي تمثله، ونظرًا لإسكانها بجميع الخيوط في يدها منذ عام ٢٠١٥م؛ فإن السعودية قادرة على تمرير أجنداتها وسياساتها مهما أضرت بواقع اليمن.



وحتى اللحظة لا يبدو أن جماعة الحوثي سوف تتخلى عن تحالفها مع طهران في مقابل تلبية المطالب السعودية، بل ما يترشح يشي بأن السعودية هي من قدمت التنازلات لجماعة الحوثي، ومارست الضغوط على مجلس القيادة الرئاسي والأطراف اليمنية لإيقاف التقدم نحو صنعاء، والقبول بجماعة الحوثي كطرف مقابل ينبغي التفاوض معه سياسيًا وصولًا لتسوية سلمية، في حين لا تزال الجماعة ممسكة بسلاحها وقوتها

للقيادة السعودية لأولوياتها الداخلية والخارجية، وتخبُّطها في المواقف، وتوتر العلاقات مع عدد من الدول الغربية، وخذلان النظام العسكري المصري الحاكم للقيادة السعودية التي عملت على تمكينه، وبقائه في وضعية المتفرج على الأحداث دون أي تدخل يُذكر. مع حدوث قطيعة في العلاقات بين الرياض والدوحة من جهة، والرياض وأنقرة من جهة أخرى، في وقت سابق، ثم العودة عن ذلك. هذا التخبُّط وعدم الثبات في السياسة السعودية انعكاسٌ لغياب الخبرة والكفاءة التي تفتقدها القيادة الحالية، في ظلّ تغييب رجال الدولة الوزنين في كثير من مراكز صنع القرار وتشكيل الوعي.

### أثر التقارب السعودي الإيراني على الملف اليمني:

بدأت أولى آثار التقارب السعودي الإيراني تبرز مع زيارة الوفد السعودي، بقيادة السفير السعودي لدى اليمن، محمد آل جابر، إلى صنعاء، والتقاء قيادات جماعة الحوثي، كتتويج للقاءات سابقة كانت تتم في الخفاء بين الطرفين دون التوصل إلى اتفاق يُذكر.

وقد بدا أن السعودية تستجيب لمطالب الحوثيين، وتسعى لإنهاء الحرب والصراع في اليمن لصالح ضمان أمنها وسلامتها، دون أي اعتبار للأطراف اليمنية الموالية للشريعة التي خاضت الحرب ضد جماعة الحوثي بتحالف مع السعودية و«التحالف العربي».

وقد أفضت التفاهات السعودية مع الحوثيين إلى اتفاق الطرفين على ضرورة مغادرة القوات التابعة لـ«التحالف العربي» الأراضي اليمنية، «خلال عام من إقرار هذه التفاهات التي تبدأ بهدنة مُهدد للشروع في مفاوضات سلام»<sup>(١)</sup>. في حين أن الأطراف اليمنية غير مُطلعة حتى اللحظة على

(١)- انظر: مجلس القيادة الرئاسي يلتقي وزير الدفاع السعودي لبحث مستجدات الأوضاع وجهود إنهاء الحرب وإحلال السلام في اليمن، المصدر أولناين، في: ٢٠٢٣/٤/٦م، متوفر على الرابط التالي:

<https://almasdaronline.com/articles/272164>

العسكرية والأمنية والمليشيات التابعة لها.

استراتيجياً للسعودية، خصوصاً أنه يجري طرح الانفصال كجزء من المخطط القادم لليمن، ما يعني إضعاف الكتلة السنّية أمام جماعة الحوثي. كما أن بقاء نفوذ إيران وأذرعها في العراق وسوريا ولبنان، مع إعادة تأهيل النظام السوري وتحسين العلاقات العربية معه؛ سيُعطي الحوثيين دفعةً قويةً للانخراط في هذا الحلف الذي بات رابحاً أمام التراجع السعودي أمامه.

في المقابل؛ فإنّ السعودية ستفقد موثوقيتها أمام الشعب اليمني وقواه السياسية والحزبية والاجتماعية، في حين أنّ إيران ستبدو كحليف يمكن الاعتماد عليه والركون إليه؛ حيث ظلّت داعمة لحلفائها طيلة أكثر من عقدين من الصراع، أمام قوى الدّاخل، وأمام قوى «التحالف العربي».

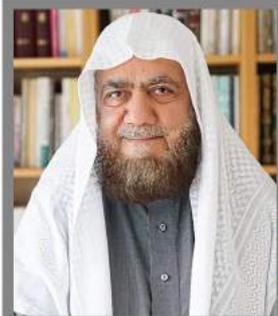


ظلّ عداء السعودية لـ"الإصلاح" البوصلة التي تقود سياستها في مواجهة الحوثيين، ما دفعها لتمكين قوى اليسار، ممثلة في "المجلس الانتقالي" الجنوبي، والذي سبق أن كانت رموزه متحالفة مع إيران للحصول على دعم منها في سعيهم لانفصال الجنوب.

وفي حين تشير المعلومات عن خارطة طريق تمتدّ لمُدّة عامين، تشمل مرحلة بناء الثقة ومعالجة التّدايعات الإنسانية للحرب، وصولاً إلى تسوية سياسية بين الأطراف اليمنية، تتضمّن تحقيقاً لمعظم الاشتراطات الحوثية، وتستبطن انسحاباً سعودياً من العمل العسكري، وأموراً أخرى؛ فإنّ هذا التحوّل سيترك فراغاً يتحدّد بحجم الابتعاد السعودي. وهذا بدوره سينعكس على السّلطة الشّرعية والقوى الوطنية والثّورية السنّية المنضوية تحتها، خصوصاً بعد أن جرى إضعافها بتمكين «المجلس الانتقالي» في الجنوب، وقوّات العميد طارق صالح في الشّمال. ومن ثمّ فإنّ أكثر الأطراف استفادةً من التّسوية الموعودة هي جماعة الحوثي، والتي ستُمنح لها



المشروعية، رغم أنّها ستظلّ -في كلّ الأحوال- خصماً



د. محمد العبدية

# غزوة بدر الكبرى

## واستراتيجيات الخروج من الاستضعاف

معركة بدر الكبرى ؛ هي أول معركة بين الإيمان والكفر ، بين الحق والباطل ، وهي ملحمة مفعمة بالتأمل في أسبابها ونتائجها ودروبها ، وكيف هيأها الله سبحانه لتكون هي الحدث الحاسم لبداية انتصارات تتلوها ، قال تعالى ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾ والذين حضروها من الصحابة هم في الطبقة الأولى من طبقات أجيال المسلمين .

وكما أن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه وكذلك السيرة النبوية ، ندرسها ونعيد درسها ونستفيد منها في كل زمان ومكان .

كانت بدر على رأس أعمال ومقدمات وكأنها تمهيد لها ألا وهي السرايا التي كان يرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لملاحقة قوافل قريش التجارية ، يريد تطويق مكة اقتصاديًا وسياسيًا ، ولكي ينتصر على مكة لا بد من استنزافها بمعارك متتابعة هنا وهناك وكأنه صلى الله عليه وسلم يريد خنق قريش اقتصاديًا لعلها تستسلم وتسلم ، ومحاصرتها سياسيًا بعقد التحالفات والمواذعات مع القبائل ، وخاصة التي هي على طريق تجارة مكة .

بعد سبعة أشهر من مهاجره؛ أرسل سرية من ثلاثين رجلاً بقيادة حمزة بن عبد المطلب باتجاه طريق القوافل ولم يحصل قتال ، وبعد ثمانية أشهر من مهاجره أرسل عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين من المهاجرين ، ثم أرسل سعد بن أبي وقاص مع عشرين رجلاً . وكل هذا لاعتراض عير قريش ولكنها نجت من هذه المحاولات إما لفارق الزمن أو تغييراً للطريق ، ثم غزا بنفسه صلى الله عليه وسلم غزوة الأبواء بعد اثني عشر شهراً من مهاجره يعترض عيراً لقريش فلم يلق كيداً ولكنه لقي قبيلة بني ضمرة فوادعهم على أن لا يغزوهم ولا يغزونه ، ولا يكثروا عليه جمعاً ولا يعينوا عليه عدواً .

ثم غزا صلى الله عليه وسلم غزوة ( بواط ) في مئتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش ولم يلق كيداً ورجع . ثم خرج صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة على

رأس ستة عشر شهراً يعترض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام ففاته وهي العير نفسها التي ستعود من الشام ويلاحقها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي التي وعده الله إياها أو ذات الشوكة .

وكانت ذات الشوكة ومعركة بدر، وهذه الغزوة تُسمى (العشيرة) وادع فيها بني مدلج قيادة لا تهدأ ، المدينة قوة مهابة لا يفكر أحد في إلحاق الأذى بها ، ومكة لا بد من ملاحقتها وحصارها حتى تستسلم وتسلم ، والعرب في الجزيرة ينتظرون ماذا تفعل قريش ، وضمن هذه الاستراتيجية كان الرسول صلى الله عليه وسلم يراقب تحركات قوافل قريش وعنده ( عيون ) في كل مكان يأتونه بالأخبار ، وهذا لا شك متعب لقريش ويجعلها في قلق دائم .

علم الرسول صلى الله عليه وسلم برجوع القافلة التي تصدى لها وهي ذاهبة إلى الشام ولم يدركها وهي قافلة كبيرة ، ألف بعير موقرة بالأموال يقودها أبو سفيان صخر بن حرب مع رجال لا يزيدون عن أربعين رجلاً ، أعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه عن هذه القافلة وقال لهم : (هذه عير قريش ، فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها) .

خرج المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهتهم مكان ( بدر ) لملاحقة القافلة ، وهم يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وليس معهم إلا ( فرسان ) وسبعون بعيراً يتعاقبون عليهم .

علم أبو سفيان بحنكته وتجربته بخروج المسلمين ، فتحول عن الطريق الرئيسي وتكب طريق الساحل ، وأرسل إلى أهل مكة يستنفرهم لحماية أموالهم ، سارعت قريش للخروج ولم يتخلف من كبارهم أحد إلا أن يبعث أحداً عوضاً عنه .

وقد صح أن عدد الذين خرجوا لحماية القافلة ما بين ( ٩٠٠ ) إلى ( ١٠٠٠ ) ومع أن القافلة نجت وابتعدت وأرسل قائدها أبو سفيان لقريش بأن القافلة نجت فلا داعي للقتال ، ولكن قريشاً أصرت على الاستمرار بقيادة أبي جهل بعنجهيته وتكبره وأنه لا بد من استعراض قوة قريش أمام العرب وكما قال تعالى:

﴿خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله﴾ .

علم الرسول صلى الله عليه وسلم أن القافلة نجت ولا سبيل إليها وأن قريشاً خرجت للقتال تُحَاد الله ورسوله .

تغير الموقف ، وطراً شيء جديد ، ولا بد من تبيان هذا الأمر للصحابة ، إنه القتال .

### مؤتمر البدرين

كان في نفوس البعض شيئاً من التردد لأنهم لم يستعدوا عسكرياً للحرب ، وأن النية كانت أخذ القافلة ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن أسباب النصر معه ، وأن هذه الفئة القليلة بوحدتهم واجتماع كلمتهم أقوى من الألف المتكبرين ، ولكن لا بد من علاج الموقف وجمع القلوب وشحنها بشحنة الإيمان وشحنة الإقدام ، فكان صلى الله عليه وسلم يقول : ( أشيروا علي أيها الناس ) يعيدها مرة بعد مرة ويتكلم أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما ، ويتكلم المقداد بن عمرو ويقول : « يا رسول الله إمض لما أراك الله ، والله لا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك فوالذي

## الثقافة الحربية .

التقى الجيشان في ملحمة قُتل فيها سبعون من المشركين وفيهم صناديد قريش مثل أبي جهل وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة ، وأسر سبعون . واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً ، وظهرت بطولات وتضحيات من شباب الصحابة ، لقد جمع الله بين نبيه صلى الله عليه وسلم وبين أعدائه من زعماء قريش على غير ميعاد لتتكسر شوكة الكفر وتنتصر الفئة القليلة التي تحمل دعوة الله .

### فقه وتدبر

إن دروس غزوة بدر كثيرة وغزيرة ولها صلة بحياة المسلمين في كل عصر ، وسنذكر بعض هذه الدروس ولعل فيها الفائدة إن شاء الله .

١- كانت وجهة المسلمين في بداية الأمر هي قافلة قريش التجارية ، وقد حضهم الرسول صلى الله عليه وسلم على الخروج للقافلة .

والمسلمون في حالة حرب مع قريش ولا مانع من إنهاكها اقتصادياً ، وهي التي لم تشكر خالقها ﷻ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﷻ بعض المسلمين الضعفاء اليوم ، ربما يتخرجون من ذكر الاستيلاء على أموال العدو فيقولون : إن أخذ القافلة إنما هو تعويض للذين هاجروا من مكة وتركوا ديارهم وأموالهم .

نعم المهاجرون تركوا ديارهم وأموالهم ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمارس ضغطاً اقتصادياً على قريش ، وهذا شيء مشروع عندما يكون الطرفان في حالة حرب ، وقد أذن الله سبحانه لرسوله في غزوة بني النضير بقطع نخيلهم إحصاءً للحصار عليهم ﷻ ما قطعتهم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﷻ .

٢- جاء في صحيح مسلم في الجهاد باب ( الوفاء بالعهد ) قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ما منعتني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي ، فأخذنا كفار قريش فقالوا : إنكم تريدون محمدًا ، فقلنا : ما نريد إلا المدينة ، فوخذ العهد علينا لنصرفن إلى المدينة ولا

( ١ )

بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك وتكلم سعد بن معاذ : « إمض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد إنا لصبرٌ في الحرب ، صدق عند اللقاء ، فسر على بركة الله . »

سُر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشرق وجهه وقال لهم : ( أبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين ، والله كأنني أنظر إلى مصارع القوم )

إنه لمؤتمر عظيم تحت قيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد كان مؤتمرًا من نوع المؤتمرات التي تقرر المصير أشاع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم روح الإيمان والعزيمة ، ذهب الحذر وغشي من المسلمين غاشية من الطمأنينة .

وفي صبيحة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، نظم الرسول صلى الله عليه وسلم جيشه أفضل تنظيم ، وصقَّهم بأسلوب جديد حيث وضع الرماة في الصف الأول وقال لهم إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ، وقال للصف الثاني : لا تسلو السيوف حتى يغشوكم ، وبني له صلى الله عليه وسلم عريشًا يكون فيه يُشرف على المعركة ويصدر الأوامر ، وحوله بعض الصحابة لحميته .

هنا في جيش المسلمين قيادة واحدة وجيش يأتمر بأمره ، وسنراه صلى الله عليه وسلم في كل المعارك القادمة يأتي بخطط جديدة يفاجأ بها العدو ويتعلم منه جنوده



١- مكان باليمن

٢- يقول أحد الكتاب الغربيين : أنجز محمد في عشر سنوات ما تعجز عنه امبراطوريات .

( ٢ )

نقاتل مع محمد ، فأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ( نفي العهد ونستعين بالله عليهم ) .  
هذه الأخلاق ، هذا الوفاء بالعهود شيء سامق قل أن يوجد إلا في النادر من تاريخ البشرية ، صحابي يحضر بدمراً ولا يقاتل مع المسلمين وفاء لعهد مع الكفار؟! شيء ربما لا تحتمله عقول بعض الناس ، يقول ميمون بن مهران : ثلاث ؛ المسلم والكافر فيهن سواء : الأمانة تؤدها لمن ائتمنك ، والبر بالوالدين ولو كانا كافرين ، والعهد تفي به للمؤمن والكافر) .

### ٣ - درس تربوي

تحدثت سورة الأنفال عن غزوة بدر وفيها ثناء على هذه الفئة المؤمنة التي انتصرت في بدر - ولو عن طريق الإشارة - قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ ﴾ ﴿ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشْرًا لَتُطْمِئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ ﴿ إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ ، وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾ ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

وحتى لا تقع هذه الصفوة المختارة من المؤمنين في ( غوائل النصر ) أي الركون إلى هذا النصر والإخلاق له وفطور العزائم ، أو الظن أنهم ما داموا مسلمين فلا بد أن ينتصروا دائماً ولو لم يعدوا العدة الكافية ، وقد استغرب بعض المسلمين في غزوة أحد لماذا أصابهم ما أصابهم فقال الله سبحانه لهم : ﴿ أَوْ لِمَا أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أُنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ آل عمران / ١٦٥ .

حتى لا تقع هذه الفئة المؤمنة في غرور النصر جاءت الآيات وفيها رد الأمر كله لله ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ الأنفال / ١٧

وهذه الآية تستل كل رؤية للنفس وكل قول فعلت وفعلت .

وجاءت الآيات وفيها عتاب رقيق لما وقع من بعضهم ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ أي

ما كان لهم أن يسألوا هذا السؤال ، وقال تعالى : ﴿ يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ الأنفال / ٦ ﴿ وَتُودُونَ أَنْ تُغَيَّرَ ذَاتُ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ ﴾ الأنفال / ٧ .

إنه تصوير بالغ عما في النفوس ، ومع أن هذه الفئة هي من خيرة أهل الأرض يومها ، وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ) ولكن الله سبحانه أراد منهم أن يكونوا في قمة الإيمان ، لأنهم هم قاعدة الإسلام الصلبة ، وقد اختار الله سبحانه هذه الصفوة لأمر عظيم . هنا عتاب رغم النصر الكبير على جيش قريش وهم في قلة من العدد والعدة ، وقد انتصروا على ألف من الرجال الأشداء وسوف نلاحظ أنه في غزوة أحد ورغم الهزيمة بعد النصر الذي حازوه في البداية ، ورغم الخطأ الكبير الذي وقع فيه بعضهم إلا أن الآيات جاءت لا لتزيد في اللوم والعتاب ، بل لتداري الجراح وتمسح على القلوب التي أصابها ما أصابها قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران / ١٣٩ ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ آل عمران / ١٤٠ ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ آل عمران / ١٥٢ /

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾ آل عمران / ١٥٩ .

### ٤- استثمار النصر .

كانت التربية القرآنية بعد بدر توجه النداء تلو النداء لترسخ هذا الفتح ، ويستثمر مثل هذا النصر ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ... ﴾ الأنفال / ٢٤ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الأنفال / ٢٥ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال / ٢ .

إنه لأمر غاية في الأهمية أن يجني المسلمون ثمار الجهاد والنصر ، ويحافظوا على الانجازات التي تمت ، جاء في السيرة النبوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بعد منصرفه من بدر سبعة أيام ثم

خرج بنفسه الكريمة يريد بني سليم فبلغ ماء يُقال له الكُدْر فأقام ثلاث ليال ثم انصرف ولم يلق أحدًا . ثم غزا نجدًا في ذي الحجة يريد غطفان وكل هذا استثمار للنصر وإرهاب لإعداء الله .

قامت في العصر الحديث حركات وجهود وجهاد لمقاومة الإستعمار ، حصل هذا في أكثر المناطق العربية والإسلامية ، وكانت النتيجة أن هذه الجهود لم تستثمر لصالح الإسلام والمسلمين ، بل سُرقت هذه الجهود لصالح العلمانيين وغيرهم ممن لا يريد أن يرى الإسلام مطبقًا في الأرض ، وكأنه رجع استعمار من نوع آخر .

## ٥- البديون

ترسخ في المجتمع الإسلامي الأول أن طبقة البديين من الصحابة لها ميزة خاصة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه ( لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ) وقد قدمهم عمر رضي الله عنه في خلافته ففرض لهم من العطاء أكثر من غيرهم وجرى العرف على ذلك عند كتاب التاريخ والسير حيث يذكرون طبقة البديين ثم أهل بيعة الرضوان ثم من أسلم قبل الفتح .. الخ . هناك الذين طالت صحبتهم وبذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وهناك من رآه في حجة الوداع وبين هؤلاء وهؤلاء درجات ، هناك من لازمه وحفظ منه كثيرًا من دقائق الأعمال وشريف السنن ، فلا يكون الكل في مرتبة واحدة .

وهذه الأفضلية ليست من الطبقة المذمومة وليست من الطبقات التي يعلو بعضها على بعض كما نجد عند الأمم الأخرى ، ولكنه التقدير والإحترام لمن كان في أول الدعوة وحضر مع الرسول صلى الله عليه وسلم جهادها وقاسى همومها وعاش نزول القرآن من أول يوم .

والمجتمع الذي لا يحظى أبطاله وعظماؤه بالتقدير والتكريم لا شك أنه مجتمع ممزق حسود لا خير فيه .

## ٦- المعروف لا ينسى

في بداية المعركة أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالمحافظة على بني عبد المطلب لأنهم خرجوا مكرهين وعلى من قدم للمسلمين يدًا في العهد المكي مثل أبا البختری بن هشام ، وأبو البختری هو ممن قاموا بنقض

الصحيفة التي فيها مقاطعة المسلمين وبني هاشم في مكة ، وقد أسر العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ولم يقتلا .

إن الإسلام لا ينسى المعروف الذي يُقدم له بل يجازي عليه ولو كان من غير المؤمن ، ويفهم من وصاة الرسول صلى الله عليه وسلم الفرق بين من آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المسلمين وبين من لم يؤذوه ، بل سعى في التفريغ عن المسلمين حمية وإباء .

ولم يخشى الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أوصى ببني عبد المطلب أن يُقال : إنه يحايي عشيرته وأهله ، لأن الحق أحق أن يتبع ، ولا يُلتفت إلى كلام الناس في هذا الأمر ، ويجب ألا تضيع حقوق الأقارب أو منزلتهم خوفًا من تهمة المحاباة .

## ٧- عقوبة أئمة الكفر والضلال

كان من نتائج المعركة أن أسر سبعون من كفار قريش وفي طريق العودة إلى المدينة ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل اثنين من الأسرى ، كانا ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ومن أئمة الكفر والعناد وهما : النضر بن الحارث بن كلدة ، وعقبة بن أبي معيط .

هذه السياسة النبوية يجب على المسلمين معرفتها وفهمها فلا يجعلون أعداء الله في كفة واحدة ، وأن الجميع سواء ، فهناك من لا يعادي الدين ولا يسعى في الحرب على الإسلام . وهناك من يحمل الضغينة والحقد ويسعى في الأرض فسادًا ، وهناك من يقف على الحياد فليسوا كلهم سواء ، وقد جاء في القرآن الكريم ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ التوبة / ١٢ .

لا يخاطب القرآن الفرد بخطيئته  
أو بيان ضعفه بل يخاطب  
المؤمنين جميعًا حين تقع الهفوة  
من فرد أو من مجموعة قليلة ،  
وهذا أسلوب من أروع الأساليب في  
التربية ، هو إشارة إلى أن الجماعة  
جسم واحد .

السرايا التي أرسلها لملاحقة قوافل قريش كانت أيضًا تدريبًا لأصحابه على الإدارة والقيادة .

بعد خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة باتجاه بدر استخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم ، وبعد أن قطع مسافة رَدَّ أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة ، وعندما اقترب من بدر بعث اثنين من رجاله ليتحسسا أخبار العير ( القافلة ) وهما : بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء .

وفي بدر نظم صفوف جيشه ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، وأعطى راية لعلي بن أبي طالب وراية لسعد بن معاذ وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة وجعل الرماة في المقدمة وقال لهم : « إن اکتفکم القوم فانضخوهم بالنبل ، ولا تحملوا عليهم حتى تُؤذَنوا » وقال : لا تسلُّوا السيوف حتى يغشوكم ، وهذه طريقة في القتال تقلل من الخسائر ، وكانت قتال العرب تعتمد على الكر والفر وليس صفوفًا منظمة مثل ما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

هنا قيادة واحدة لا يتحرك الجيش إلا بأوامرها وجعل للرسول صلى الله عليه وسلم عريشًا في مكان مرتفع قليلًا كي يشرف على المعركة . يقول الدكتور محمد أمين المصري رحمه الله : « وانقضت عشر سنوات ( في المدينة ) بقيادة محمد عليه الصلاة والسلام ما تعادل في عمر الأمم بمئات السنين ولا آلافها ، ذلك أنها حقبة من الزمن لامعة مضيئة فذة في عمر التاريخ ، لا يمكن أن يقاس بها الحقب ، ولا يمكن أن تشبهها الأيام .

## ٨ - جانب من سمو خطاب الوحي

لا يخاطب القرآن الفرد بخطيئته أو ببيان ضعفه بل يخاطب المؤمنين جميعًا حين تقع الهفوة من فرد أو من مجموعة قليلة ، وهذا أسلوب من أروع الأساليب في التربية ، هو إشارة إلى أن الجماعة جسم واحد ، وهي نظرة في منتهى السمو من الناحية الاجتماعية تؤكد وحدة الجماعة وقماسكها ، فالخلية الواحدة في الجسم إذا لم تعالج فسوف يمتد مرضها إلى جارتها ، أما إذا كان الجسم يقظًا حساسًا يدرك مرض الخلية فيمدها حالة بالإسعاف والعون ، كما جاء في الحديث عن النعمان

بن بشير رضي الله عنه قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنین

في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم

مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو

تداعى له سائر الجسد بالسهر

والحمى » . وحين تقول الآيات

الكريمة : ﴿ يسألونك عن الأنفال

﴾ فهذا لا يعني أن السؤال وقع

من كل الأصحاب الثلاثمائة ، وحين

تقول الآيات : ﴿ يجادلونك في الحق ﴾

فكذلك الأمر ، وهذه التربية تنطبق على

مشاهد أخرى ، قال تعالى :

﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ فالخطاب للجماعة كلها

، قال تعالى في أحد ﴿ حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ﴾

والذين أعجبتمهم الكثرة في حنين نفر يسير ، والذين فشلوا

وتنازعوا في أحد كذلك .

## ٩- الرسول القائد

القيادة بكل أركانها وكل تفاصيلها كانت متمثلة في

شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، يراقب الأحداث

، ويتابع بدقة أخبار العدو ، لا يترك ثغرة في تخطيطه

لمجابهة الأعداء .

استطاع قبل بدر أن يُحيّد بعض القبائل حتى لا تساعد

قريشًا ، ذو بصيرة في اختيار الرجال للمهمات

التي يريدها ،





## أهمية الدعوة النسائية في أزمنة الفتن

د. عبدالرحمن الكاتب

بواكيرها مدعومة من أولى الداعيات في الإسلام، وهي أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها-، حتى أثنى النبي -صلى الله عليه وسلم- عليها -كما روى الشيخان- بقوله: «آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس.. ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء..».

وكذلك كانت أمنا عائشة -رضي الله عنها- داعية كبيرة، بل فقيهة قديرة من حملة علم الرسالة، حتى قال أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه-: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً» رواه الترمذي وحسنه.

### الدعوة إلى الله ليست أمرًا خاصًا

بالرجال، فعندما قال الله -تعالى-: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)؛ فإن الأمة -كما هو معلوم- مكونة من الرجال والنساء، وكذلك عنى القرآن الرجال والنساء في قول الله -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣). وقال الله -تعالى- مثنيًا على الداعين للخير من الجنسين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. وكانت دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- في

ومن نساء الصحابة مَنْ عُرِفن بالبلاغة في الدعوة والبيان، مثل الصحابية الجليلة (أسماء بنت يزيد الأنصارية) الملقّبة بخطيبة النساء فقد جاءت أسماء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو بين أصحابه؛ فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة فأمنا بك. وإنّا معشر النساء محصوراتٌ مقصوراتٌ قواعدُ بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فُضِّلتم علينا بالجُمع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله. وإن الرجل إذا خرج حاجًا أو معتمرًا أو مجاهدًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم. أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟



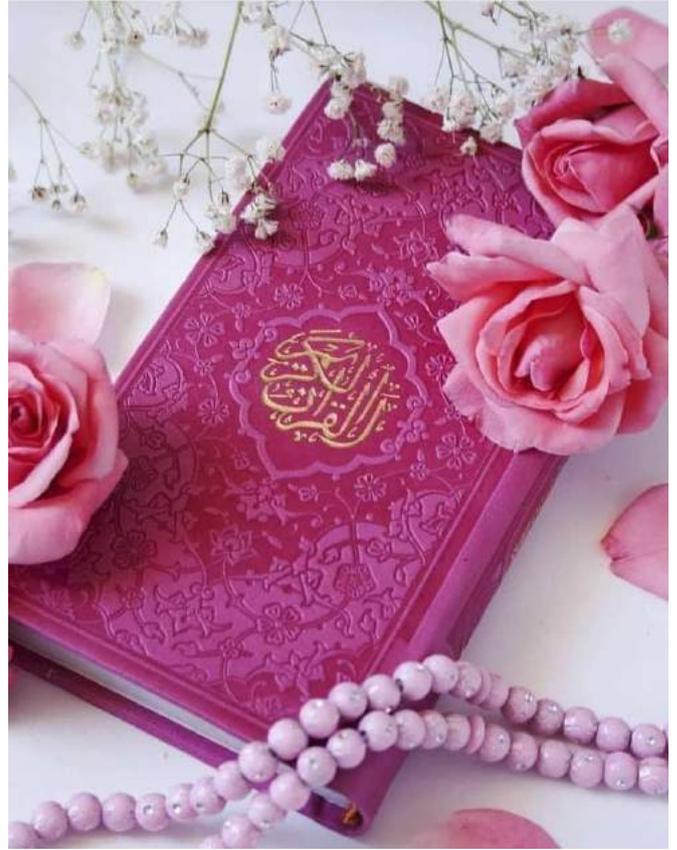
فالتفت النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أصحابه بوجهه كلّه، ثم قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟»، فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى

إن القدوات في الدعوة النسائية كثيرة ومتوافرة على مرّ التاريخ الإسلامي، لكن نستطيع أن نقول: إن عصرنا أحوج ما يكون إلى انتفاضة دعوية نسائية، في ظل الاجتياح العام للفساد والإفساد الأخلاقي والقيمي، الذي يتخذ من الانحراف النسوي المحدود أداة للانحراف المجتمعي غير المحدود، بما يُوصل إلى طمس الهوية، ودمار القيم الاجتماعية. ولو لم يكن من حرص المرأة على بثّ دعوة الإصلاح إلا إعطاء القدوة العملية الحسنة في الاستقامة الاعتقادية والشرعية والسلوكية؛ لكان ذلك إسهامًا عظيم الأثر في إثراء الدعوة وإعطائها ثمراتها الياينة، فالقلوب تأسرها الأفعال والأحوال قبل الحكايات والأقوال. كما قال بعض الحكماء: «المؤمن كالسراج، أينما وُضع أضاء».



وقد كانت النساء على عصر النبوة مأمورات بالبلاغ، مثلما أمر الرجال، وكان البدء ببيت النبوة، حيث قال الله -تعالى- لنساء النبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَأذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٤)؛ فالآية حضّ لهن على العمل المطابق للعلم، وهو ما تكتمل به القدوة الحسنة. وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «اعملن بما يُنزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة».

مثل هذا. فالتفت النبي -صلى الله عليه وسلم- إليها فقال: «أفهمي، أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء أن حُسنَ تبُعَلِ المرأةَ لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يَعدِلُ ذلك كله». فانصرفت المرأة وهي تُهلّل.



ومع أن العقبات دون انطلاق الدعوة النسائية كثيرة وكبيرة، إلا أنه من الممكن تجاوزها في عصر وسائل التواصل.. فالجهل بأساسيات دعوة الإسلام مثلاً كان من أكثر ما يحول بين المرأة المؤمنة وبين نشر الدعوة التي تؤمن بها في أوساط النساء والبنات، ولكن لا عذر للمثقفات اليوم في الشكوى من ذلك؛ فالعلوم الإسلامية صارت مبنوثة في الفضاء الإلكتروني، وأصبحت في المتناول بحسب كل مستوى ثقافي، وما على الجادات المجتهدات إلا حُسن التلقي، ثم حسن البلاغ، مصداقاً لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «نَصَّرَ اللهُ امرأَةً سَمِعَتْ مَقَالَتي فوعاها وحفظها وبلَّغها؛ فَرُبَّ حَامِلٍ فقهٍ إلى من هو أفقه منه» رواه الترمذي بإسناد حسن.

بل إن وسائل التواصل نفسها صارت منبر من لا منبر له، فأصبح بوسع الدعوة النسوية اليوم أن تنشئ المجموعات التثقيفية الدينية، في تعليم القرآن والسُّنة بكل علومهما، وتلقين الاعتقاد الصحيح والسلوك الحسن، وهو ما نراه بالفعل منتشرًا ومشتهرًا، غير أنه يحتاج فقط إلى تنظيم في الأولويات، وتطوير في الأداء، وقبل كل ذلك يحتاج إلى الإخلاص، فقد قال الله -تعالى-: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

ومعناها كما بيّن الطبري في تفسيره: «اعملوا لله بما يرضيه من طاعته، وأداء فرائضه؛ فسيري الله إن عملتم عملكم، ويراه رسوله والمؤمنون في الدنيا، وستردون يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلايتكم، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها؛ فيخبركم بما كنتم تعملون، وما منه خالصًا، وما منه رياء، وما منه طاعة، وما منه لله معصية؛ فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم؛ المُحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته». فاللهم وُقِّقِ الداعيات المخلصات في دعوتهن، وتقبل بذلهن وعطاءهن.

